كن متفائلاً

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٠ هـ ـ ٢٠١٩م

ـ سلسلة: ترياق الجراح

كن متفائلاً

د. خالد حسن هنداوي

مركز الأناضول والخليج

للبحث والثقافة ـ إستانبول

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

عندما يُشرِق الصباح، وتُرسل الشمس أشعَّتها الذهبية، وتنشر فينا الدفء والراحة والانشراح، نتأمَّل نِعَم الله علينا وحنانه الذي نلمسه في كل حركاتنا وسكناتنا، فينبعث فينا الأمل والتفاؤل، وتنشط قلوبنا ونفوسنا وعروقنا، ونتطلَّع إلى صناعة حياتنا بوجه أفضل وبسعادة غامرة، أَلَا ما أحلى تلك اللحظات والسويعات التي تهبُّ علينا فيها النسائم ندية ورديَّة يتَّخذ النَّحل منها رحيقه الشافي، الذي يكرمنا الله به في بساتين ورياض الدنيا قبل الآخرة، فيا لها من أويقات عطريَّة تسرح بنا في أجواء الهناءة مانحة من معين الإيمان الذي لا ينضب، إذ هو النعمة المهداة من المُنعم سبحانه؛ حيث يزفُّه إلينا كهواء نتنفَّسه، وماء نشربه، وغذاء نتقوى به، ودواء نتعالج بسببه، بل وشفاء لأبداننا وأرواحنا فهو

الأول الأول، والأساس العتيد لنا على مرِّ الأيام في الزمان والمكان والخواص والأشخاص، وبهذا نعرف أنفسنا، **ومن عرف نفسه فقد عرف ربَّه،** فمكَّن أساس البنيان الذي يصلح للإنسان وهتف بقوة: نَعَم للأمل والتفاؤل، ولا لليأس والتشاؤم، وبذلك يكون الرجل النطاسي الحصيف الذي يُسعد نفسه والآخرين معه، وإنه بهذه المناعة الحارسة من الخطر لا يهمُّ الجميع هيمنة القيود حينًا من الزمن، ولا تأثير الدَّهر وتقلُّباته ضد الأماني والغايات العِذاب، بل تُعتَبَر المصاعبُ والشدائد فُرصًا تُسْتَثْمر للنجاح والبناء من جديد، وكيف لا يتم ذلك و**القرآن العظيم** ـ الذي هو المصدر الأول في حياتنا ـ يحضُّنا ويروي لنا قصص المتفائلين وعلى رأسهم الأنبياء من آدم عليه السلام إلى سيدنا **محمد** ﷺ، وإنَّه ـ وإن لم يرد لفظ التفاؤل بنصه ـ إلا أنه بصفته وحاله دالٌّ عليه، وكما يقال: **لسان الحال أبلغ من لسان المقال،** حتى بلغ العدد في كتاب مولانا سبحانه **تسعًا وستين** آية كريمة، وطالب ربنا تعالى حبيبه ومصطفاه **محمدًا** ﷺ بالصبر على ضيف الابتلاء

كما كان حال الرسل قبله عليهم الصلاة والسلام: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ﴾ [الأحقاف: ٣٥] فلا تناقض بين الصبر والتفاؤل كما قال العلماء، بل إنَّ هذا التفاؤل ـ كما قيل ـ هو الركن الركين للصبر، وقدأكّد مولانا سبحانه إتحاف الصابرين بالرجاء والبشرى والفوز ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

هذا وقد سُئل محدِّث بلاد الشام **الشيخ بدر الدين الحسني** وهو العلامة الربَّاني المجاهد ضد الفرنسيين المحتلين لسوريا سابقًا؛ ماذا نفعل في وجه هذا الاحتلال البغيض؟ ـ وهو مَن هو بتحريضه ومشاركته المجاهدين بالتوجيه ـ قال: عليكم بالآية الأخيرة في سورة آل عمران ففيها نجاتكم، وهي قوله جل وعز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وإنَّ هذا لجارٍ في كل زمان ومكان إلى جانب العمل والجهاد المستبصِر الذي دعا إليه الإسلام.

وهكذا يتبين لنا أنَّ القرآن الحكيم هو **كتاب التفاؤل الأول** والنشاط والحياة العملية الذي يفتح أبواب الأمل على مصراعيها، كما أوصى السلف بقراءة **سورة يوسف** عليه السلام لكلِّ مَن أصيب بمصيبة، كي يلج من خلالها باب الأمل والتفاؤل الذي تحلّى بهما يعقوب ويوسف عليهما السلام بشعار: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨] وذلك مع العمل ومجابهة المحن التي انقلبت في النهاية إلى مِنَح من الله لسيدنا يعقوب وسيدنا يوسف عليهما السلام الذي لم يهدأ في الدعوة إلى الله حتى وهو في السجن إلى أن مكّنه الله تعالى لما صبر.

أمَّا من حيث **السنة النبوية** فهي طافحة بالأحاديث التي تحثّ على التفاؤل وتمدحه وتدعو إلى ممارسته حتى بلغ عدد تلك الأحاديث أكثر من **ثمانية وثلاثين** حديثًا، وكلها تؤكد أنَّ الإنسان يعيش سعيدًا رغيدًا بالأمل والعمل وليس بالتشاؤم والكسل، وأنَّ أيَّ إنسان **قد يحيا من دون بصر لكنه لا يستطيع أن يكون بلا أمل** كما يقولون، وأنَّ **الإنسان دون أمل مثل النبات دون ماء**، وهو وحش في قطيع لا يرحم، وقال

الداعية المجدد د. مصطفى السباعي ﷺ: إنَّ المؤمن كالورقة الخضراء لا يسقط مهما هبَّت العواصف، وأنه ليس المهمُّ ما يحدث لك ولكنَّ المهمَّ ماذا ستفعل فيما يحدث لك.

وقال **البحتري**:

لولا الرجاء لمتُّ من ألم الهوى لكنَّ قلبي بالرجاء مؤمِّل

فهو ارتباط بما يسوقه الله من أمل، مثل قولهم: التفاؤل من الله، أمَّا التشاؤم فيولد في دماغ الإنسان، وهو وهم ووسوسة، ولذلك فإن **الشاعر صالح عبد القدوس** ينهانا عن اليأس والتشاؤم:

لا تيأسنَّ من انفراج شديدة قد تنجلي الغمرات وهي شدائد
كم كربةٍ أقسمت أن لا تنجلي زالت وفرَّجها الجليل الواحد

ومما ينسب إلى **الإمام علي** ﷺ:

إذا لم ترَ لانكشاف الضر وجهًا ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوطٍ منك غوثٌ يمنّ به اللطيف المستجيب
وكلُّ الحادثات وإن تناهت فموصول بها فرج قريب

فلا تيأس؛ فاليأس هو انتحار القلب، وهو لا يليق بكبار النفوس، وفي إحدى الحكم البليغة: **لماذا نلقي بأنفسنا في الماء قبل أن تغرق السفينة؟** مع أنَّ الذي يختار أن يركب في مراكب التفاؤل ينجو من الغرق في أوحال الشقاء والتعاسة، فهلا كنا متفائلين في زمن اليأس الذي طغى على الكثيرين بيننا ومن حولنا بسبب الجراح الغائرة جَرّاء الحروب الوحشية والمصائب العسيرة، وأين حُسن الظنِّ بالله تعالى الذي هو قمة التفاؤل وذلك مع التوكل والدعاء.

وإني لأدعو الله حتى كـأنني أرى بجميل الظنِّ ما الله صانع

أمَّا **المتشائم** فلا ينظر إلا من خلال النظارة السوداء، ولا يرى إلا كلَّ قبيح، بينما إذا نظر إلى المتفائل يرى أنه يستقبل الحياة بنفس راضية وينجح فيها وهو يعرف أنها لن تصفو له كما لم تصف لأحد.

جُبِلت على كدرٍ وأنت تريدها خِلوًا من الأقذار والأكدار

بل إن مَن وطَّن نفسه على فهم قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]؛ فإنه يعرف كيف يتعامل مع الواقع في الحياة والناس ويكون على الدوام أقرب إلى التفاؤل، وما ذلك إلا لأنه يريد أن يكون أفلح الفالحين في الطريق إلى ربه ليلقاه بمؤهلات تُنهي عنه كَبَد الحياة فيستريح في ظلال الله، وعلى كلٍّ؛ فإنَّ مَن يكدح ويكابد ويعاني في سبيل الدعوة حتى يقضيَ فيها هو غير الذي يكدح ويعاني من أجل النزوة وفي الطين فقط كمثل الديدان والحشرات، كما قال **سيد قطب** رحمه الله في الظلال، ولذلك فإنَّ مَن يجاهد لهمِّ الله ثمَّ كذلك العيال فهو متفائل حقًّا، لأنَّ عمله هذا هو جوهر في الحياة أيضًا بعد واجب ربه.

ونضرب على ذلك أمثلة بتفرغ الكثير من المهاجرين الفلسطينيين والسوريين والعراقيين واليمنيين والليبيين والمصريين وغيرهم للجهد والعمل بكل أمل دون أن تغلَّهم الهجرة في غير بلادهم، وهكذا المسلم عند ما يطلب المجد يقتحم الصعاب غير هيَّاب كما قال **العلامة محمد إقبال** ﷺ،

وإنَّ مثلَ مَن يثابر على ذلك مثلُ من فهم القاعدة الشرعية الإسلامية التي أوصانا بها **الإمام الشافعي** ﷺ: «**إنَّ الأمر إذا ضاق اتسع**» فيقوم بما يطلب الله منه مستعينًا به شاكرًا توفيقه؛ فعند ذلك يكون قدوة حسنة للأمل في تغيير النفوس والأحوال وخصوصًا في مجال الشهوات والشُّبهات، لأنَّ اتباع الهوى وطول الأمل السلبي مادة كل فساد، فطوبى لمن محّض حياته لله كما قال **ابن سيرين** ﷺ: سمعت شريحًا يحلف بالله: «**ما ترك عبد شيئاً لله فوجد فقده**» وكما قالوا: إن لقاح التذكُّر والتفكُّر يقود إلى الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، فلا يغرنك أهل المظاهر مهما تفاخروا، فالعبرة بالمعاني والجواهر، وإن المرء لا ينفك من أصول ثلاثة كما قال **ابن القيم** ﷺ: الشكر والعافية والتوبة، وإنَّ ناسًا فيهم مثل هذه الصفات لهم الأمل بذاته أو كما قال **د. مصطفى السباعي** ﷺ: إنَّ المسلم مَن له يدان، يد تصافح الحقَّ وأخرى تكافح الباطل، وله عينان، عين تبصر النور وأخرى تغمض في الظلام، وله خلُقان، خلُق مع الظالمين يشتدُّ ويحاسب، وخلُق

مع الشعوب يلين ويسامح، وهكذا يكون معتصمًا بحبل الله ولو بالقوَّة الناعمة والمحاجزة لنشر قيم الإسلام إن لم يستطع المناجزة للأعداء، وكما قيل: إننا إذا لم نستطع أن نقنع الأعداء بالكفِّ عن أذانا كما لا نستطيع منع الثلوج من السقوط، لكننا نستطيع أن نحميَ أنفسنا من كيدهم كما نستطيع أن نمنع سقوط الثلوج فوق رؤوسنا، فلنكن مع التفاؤل الإيجابي، وليس التفاؤل اليائس، وعلينا أن نعدَّ الخطط السليمة للوقاية من الإخفاقات، ولكن إذا فشلنا بالرغم من بذل الطاقة والوسع فلا نيأس، بل نعتبر أننا سجَّلنا نقاطًا على الطريق هي من رصيد خبرتنا المفيدة في جولات وصولات أخرى، فالحياة إنَّما تقوم بالتفاؤل.

لا تقل عملاقنا اليوم تقزّم ما عهدت اليأس في حرفك تمتمْ
ديننا حق ووعد الله حق ولنا في الكون آيات ومعْلمْ
رغم الجراح ورغم أنات الألم متفائلون وإن تجبَّر من ظلم
رغم المصائب والكروب فإننا متفائلون بفجر يُسـر في القمم

وأخيرًا: فكم نحن بأمس الحاجة إلى التربية على خلق التفاؤل وثقافة الأمل والرجاء مع العمل البصير.

ويأتي هذا الكتاب للقرَّاء الكرام ليأخذ بأيدينا إلى فهم حقيقي للتفاؤل والأمل شارحًا أهم ميادينه منبها إلى ضوابطه ومحدداته المطلوبة معرِّجًا على أهم فوائده، ومجيبًا على سؤال كيف أكون متفائلًا؟ إلى أن يقف بنا على الجانب المقابل للتفاؤل وهو اليأس والتشاؤم والطِّيرة، وحكم كليهما، وبيان الممادح والمقابح لهما، وكيف نهزم اليأس من نفوسنا.

وأمَّا عن استراتجية التفاؤل وسيكولوجيته وفلسفته ودوره في التوازن، وكذلك اليأس والتشاؤم مع هذه المواضيع ذاتها وغيرها فعسى أن يكون لنا موقف في طبعة أخرى إن شاء الله تعالى.

ولنختم مع **الإمام الشافعي** رحمه الله وهو يدعونا إلى تعميق الصلة والثقة بالله سبحانه.

سهرتْ أعينٌ ونامت عيون ... في أمور تكون أو لا تكون

فادرأ الهَمَّ ما استطعت عن النفـ ... ـس فحملانك الهمومَ جنون

إن ربّاً كفاك بالأمس ما كا ن سيكفيك في غدٍ ما يكون

وندعو مع **محمد إقبال**:

يا رب ألهِّمنا الرشاد فما لنا في الكون غيرك من وليّ مرشد

وكتبه:

د. خالد حسن هنداوي

معنى التَّفاؤل

ـ **التَّفاؤل في اللُّغة العربيَّة:** مأخوذ من الفأْل وهو: قولٌ أو فعلٌ يُستَبشَر به، وهو ضِدُّ الطِّيَرَة والتَّشاؤم والجمع فُؤُول، كفلس وفلوس[1].

ـ **والتَّفاؤل في الاصطلاح العلمي:** له تعاريف عدَّة منها:

ـ **هو** موقف من جانب الفرد حيال الحياة، يميل أحيانًا فيه إلى حدٍّ مُفرِط نحو التَّركيز على الناحية المُشرِقة منها، أو الجانب المُفْعَم بالأمل والخير، والفأل لا يأتي غالبًا إلا في السرور، وهو يزيد الإنسان نشاطًا وإقدامًا[2].

ـ **وقال آخرون**: هو استعداد نفسيٌّ عند صاحبه لرؤية الجانب الإيجابي والغضّ عن الجوانب السلبيَّة[3].

---

(١) القاموس المحيط: ١/١٠٤٠، والمعجم الوسيط: ٢/٦٧١، مادة فأل.

(٢) موسوعة علم النفس، ترجمة أسعد رزق: ص ٨٠، وكتاب استشراف المستقبل في الكتاب والسنة، رسالة ماجستير للدكتور فهمي إسلام جيوانتو: ص٣٤٩.

(٣) معجم علم النفس والطب النفسي، لعلاء الدين: ٦/ ٢٧٣.

ـ كلماتٌ ذات صلة بالتَّفاؤل:

ـ **الأَمَل:** هو الرَّجاء، وأمَلَ خيرَه: ترقَّبه، وأكثر ما يُستعمل الأمل فيما يُستبْعَد حصوله، فمَن عزم على السَّفر إلى بلد بعيد يقول: أمَّلْتُ الوصولَ، ولا يقول: طمِعْت، إلا إذا قرُب منها، فإنَّ الطمع لا يكون إلا فيما قرُب حصوله.

ـ **والرَّجاء** بين الأمل والطَّمع، فإن الرَّاجي قد يخاف أن لا يحصل مأموله، ولهذا يُستعمل بمعنى الخوف، فإذا قوي الخوف استُعمل استعمال الأمل[1].

ويقول **أبو هلال العسكري** رحمه الله: الأمل رَجَاءٌ يسْتَمرُّ فلأجْل هَذَا قيل للنَّظَر فِي الشيء إِذا اسْتمرّ وَطَالَ: تَأمُّل وَأَصله من الأمِيل، وَهُوَ الرَّمْل المستطيل[2]، وبالطبع فهذا عن الأمل الإيجابي، وأمَّا الأمل السلبي فهو على حدِّ قوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر:

---

(١) المصباح المنير: ٢٢/١.

(٢) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري: ٢٤٥/١.

٣]، معناه: يشغلهم الأمل عن الطاعة، فطول هذا الأمل والتَّسويف بلا عمل داءٌ عضال، متى تمكَّن من القلب فسد مزاجه واشتدَّ علاجه[١].

ـ **البُشرى:** مَا يُبشَّر بِهِ وَمَا يعطاه المبشَّر، والبشارة المطلقة لا تكون إلا في الخير، وإنما تكون بالشَّرِّ إذا كانت مقيَّدة به، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١][٢].

وقد جاءت هنا على **سبيل التَّهكُّم**؛ مثل قوله تعالى عن المنافقين: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٣٨]، **وقول جرير:**

زعَم الفَرَزْدَقُ أنْ سَيَقْتُلُ مِرْبَعًا أَبشِرْ بِطُولِ سَلامةٍ يَا مِربعُ[٣]

---

(١) تفسير القرطبي: ١٧٦/١٢.

(٢) الصحاح: ٥٩١/٢، والمعجم الوسيط: ٥٨/١.

(٣) ديوان جرير: ص ٢٧٢.

وقد نقل **شاه ولي الله الدهلوي** رحمه الله عن ابن سيرين رحمه الله أنَّ من الرؤيا ما يكون بُشرى من الله[1].

كما جاء في الحديث قوله ﷺ: «لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا المُبَشِّرَات، قَالُوا: وَمَا المُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ»[2].

ـ اليُمن: هو البرَكَة، وقد يُمِنَ فلان على قومه فهو مَيْمُونٌ، أي: صارَ مبارَكًا عليهم، وَيَمَنَهُمْ أَيضًا يَمْنًا فهو يَامِنٌ وتَيَمَّنَ به: تبرَّكَ[3]، ويأمنوا: أخذوا جانب اليمين[4].

** ** **

(١) حجة الله البالغة: ١/١١٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب المبشِّرات، برقم: /٦٩٩٠/ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) مختار الصحاح: ص ٣٥٠.

(٤) أساس البلاغة للزمخشري: ٢/٣٦٢، ومختار الصحاح للرازي: ص٣٥٠.

من ميادين التَّفاؤل

أولًا: التَّفاؤل برحمة الله جَلَّوَعَلَا: فهو الرَّحمن الرَّحيم، وقد وسعتْ رحمتُه كلَّ شيء، ولا يقنط منه إلا الجاهل الضالُّ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

ـ فعَنْ **عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ** رضي الله عنه قال: «قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ[1]، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟ قُلْنَا: لا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: **لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**»[2].

وحتى لا نقنط من رحمته؛ فإنَّ الله تعالى علَّمنا أن نكرِّر

---

(١) وورد في الحلية لأبي نعيم (٣/٢٦٤) بلفظ: «فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَسْعَى إِذْ وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ فَأَخَذَتْهُ وَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا، وَأَرْضَعَتْهُ».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله برقم: /٥٩٩٩/، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، برقم: /٢٧٥٤/.

كلَّ يوم اسم **الرَّحمن الرَّحيم** مع كلِّ ركعة في صلواتنا كلِّها، وما ذلك إلا لنفاسة كنزها، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

ثانيًا: التَّفاؤل بالمغفرة: فالله عزَّ وجلَّ «يَبْسُطُ يدَهُ باللَّيلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهارِ، ويَبْسُطُ يَدَه بالنَّهارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ» كما في الحديث[1]، وقد خاطبنا فقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٦ ـ ٢٨].

وفتح باب الأمل لجميع عباده فقال: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، برقم: /٢٧٥٩/ عن أبي موسى ﷺ.

ـ وقد **ضمن** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ للتائبين **قبول توبتهم** فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥].

ـ وقال ﷺ فيما يروي عن ربِّ العزة ﷻ: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[1].

وهكذا لم يُغلِق بابه دون أحد، فمهما كثُرت وعظُمت الذنوب فالله أكبر، فهذا رجل من بني إسرائيل قَتَلَ تسعةً وتسعين نفسًا، ثم قتَلَ آخر ليكمِّل به المائة، ومع ذلك حينما عزم على التوبة فَتح الله له بابَها، ولْنقرأ القصة كاملة كما حكاها لنا رسولنا ﷺ:

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات، برقم: /٣٥٤٠/ عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

ـ «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء صلوات الله عليهم برقم: /٣٤٧٠/، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، برقم /٢٧٦٦/ كلاهما عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

وهذا رجل آخر، نالته المغفرة بسبب عمل صالح قدَّمه لحيوان، يقول ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا، فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا؟ فَقَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»(١).

بل إنَّ من عظمة الله عزَّ وجلَّ أنَّه يقبل التوبة **ويبدِّل السيِّئات حسنات**، ترغيبًا للعبد المذنب بالرُّجوع إليه ﷻ قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

فتفاءل أخي المؤمن بمغفرة الله وعفوه، وبادر قبل أن يأتي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم برقم: /٦٠٠٩/، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، برقم /٢٢٤٤/ كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يوم لا ينفع فيه الندم: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ [النساء: ١٧ ـ ١٨].

ـ **والبشارة الخاصة بالمؤمنين**: أنَّ الله ﷻ أمر الملائكة الكرام عليهم السلام أن يستغفروا لهم، قال جلَّ ذكرُه: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧]، وما أمَرَهُم بالاستغفار لك أيُّها المؤمن إلا ليستجيب دعاءهم.

ثالثًا: التَّفاؤل بالفَرَج: ولأنَّ دوام الحال من المُحال فالألم لن يدوم، والظُّلم لن يدوم، وتأخُّر الرزق لن يدوم والغُربة لن تدوم، والمرض لن يدوم، والشِّدَّة لن تدوم ما دامت

الأمور بيد الحيِّ القيّوم، والأيام دُوَل، والعُسْر لا بدَّ أن يعقبه يُسْر، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥ ـ ٦].

قال الشاعر إيهاب أبو العز:

ويُخْبِرني الصَّباحُ إذا تجلَّى ... بأنْ أحيا على أمَـلٍ جميلِ
وأنَّ الحُزْنَ مهما اشتدَّ يومًا ... فشأْنُ الحُزنِ دومًا للرَّحيل
سيأتي بَعْدَ مُرِّ الدَّهْرِ يـومٌ ... لهُ طعـمٌ كـطعْم السَّلْبيلِ

ـ لهذا لما ابتلع الحوتُ **نبيَّ الله يونُس** عليه السلام، وأضحى في الظلمات، لجأ إلى مَن بيده ملكوت كلِّ شيء، إلى مَن لا يُعْجِزُه شيء: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] **فكانت النتيجة**: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ [الأنبياء: ٨٨] وليس هذا فحسب، إنما أراد الله ﷻ أن يرسم لنا قانونًا واضحًا ويُخبرنا بسنَّة من سُننه الكونيَّة فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

ـ وأما **نبيُّ الله إبراهيم** عليه السلام فإنه التجأ إلى الله ﷻ حينما

أراد المشركون إلقاءه في النار، وفوَّض أموره إليه تعالى وقال: «**حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**»(١)، فلم يَخِب ظنُّه بربه لقد وجَّه الله أمره للنار، وغيَّر فيها سنته الكونية: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

ـ وهذا **نبي الله زكريا** عليه السلام، بلَغَ من الكِبَر عِتيًّا، ولم يُرزق بمولود تَقَرُّ به عينُه، فدعا الله عَزَّوَجَلَّ وهو موقِنٌ بالإجابة فقال: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩ ـ ٩٠].

ـ وأمَّا **سيدنا يعقوب** عليه السلام، فإنه فقَدَ ولدَه يوسف عليه السلام سنين عديدة، ثم فَقَدَ ولده الثاني، ومع ذلك ظلَّ متفائلًا وقال لأولاده: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، تفسير سورة آل عمران باب: إن الناس قد جمعوا لكم، برقم: /٤٥٦٤/ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧].

ولربَّ نازلةٍ يضيقُ لها الفتى ... ذرعًا وعند الله منها المخْرَجُ
ضاقتْ فلما استَحْكَمَتْ حَلقاتُها ... فُرِجَتْ وكنتُ أظنُّها لا تُفرجُ[1]

ـ وأمَّا **نبيُّ الله يوسف** عليه السلام، فإنَّه مرَّ بمحنٍ عديدة، حيث ألقاه إخوته في غيابة الجُبِّ ـ أظلم البئر ـ يريدون الخلاص منه، ليُخرجه أناسٌ غرباء لا يعرفهم، وما كان من أمرهم إلا أن قرَّروا بيعه كما يُباع العبيد، لتبدأ رحلة المحنة التي تضمُّ في جنباتها المنَح الإلهيَّة: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [يوسف: ١٩ ـ ٢١].

---

(١) والبيتان لإبراهيم بن العباس الصولي كما نسبته أكثر المصادر. ينظر البداية والنهاية لابن كثير: ٢٣٤/٥، والفرَج بعد الشدَّة، للمحسِّن بن علي التنوخي: ١٥/٥، وديوان الشافعي: ص ٤٠ فقد أورد البيتين.

وظلَّ في بيت العزيز إلى أن جاءت **المحنة الثانية**: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٣ ـ ٢٥].

وبعد أن ظهرت براءته أصرَّت امرأة العزيز على خطئها وخيَّرت يوسف: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْأَيَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٢ ـ ٣٥].

فماذا فعل في السجن؟ لم ييأس ولم يقنط، ولم يندم لأنَّه

ثبت على المبادئ والقِيَم التي تربَّى عليها في بيت النبوَّة إنَّما على العكس تمامًا، لقد رأى في السجن فُرصة للدَّعوة إلى الله عز وجل، يأتيه سؤال من سجينين، فيغتنم الفرصة ويخاطبهما بقوله: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣٩ ـ ٤٠].

وما النتيجة في آخر المطاف؟

لقد خرج من السجن معزَّزًا مكرَّمًا، فما بعد الضِّيق إلا الفرج: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٦].

ثم جمعه الله بأبيه وإخوته: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ٩٩ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ

﴿ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٩٩ ـ ١٠٠].

يقول **الشيخ محمد الغزالي** رحمه الله: لو أن شخصًا آخر نظر إلى ماضي يوسف عليه السلام فوجده مثْقلًا بالآلام على هذا النحو لضاق بالأرض وتنكّر للسماء، بَيْد أنَّ يوسف الصِّدِّيق عليه السلام بقي متألّق اليقين[1].

رُبَّ أمرٍ تتَّقيهِ جَـرّ أمـرًا تـرتجـيـهِ
خفِيَ المحبوبُ منه وبـدا المـكْـروهُ فـيـهِ
فاتـــركِ الدَّهرَ وسلّمـ ـــــهُ إلى عَـدْلٍ يليـهِ[2]

إنّها سنَّة الله في عباده: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥ ـ ٦]. ولن يَغْلِب عسْرٌ يُسْرَين[3]، فاللَّيل مهما طال

---

(١) خلق المسلم: ص ١٣٦، ويوسف عليه السلام قدوة للمسلمين للدكتور علي محيي الدين القره داغي: ص٨٠ ـ ٩٢.

(٢) متعة الحديث لعبد الله بن محمد الداوود: ٨٧/١.

(٣) وهو حديث مرفوع عن ابن مسعود رضي الله عنه، وإسناده جيد. ينظر فتح الباري: ٥٨٣/٨، ونكتته: أنَّ العُسر المكرر مرتين هو بمعنى واحد، واليُسر المكرر مرتين هو نكرة لا معرفة، ولكلٍّ منهما معنى، =

فلا بُدَّ من ظهور الفجر.

ـ وهذا ما وقع مع ثلاثة نَفَر، آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من أعلى الجبل، فسدَّتْ عليهم فم الغار، فلم ييأسوا ولم يقنطوا، إنما تفاءلوا بالفرَج ودعَوُا الله بصالح أعمالهم، فاستجاب الله دعاءهم، وفرَّج كُرْبَتَهم، فخرجوا يمشون، وقد ذكر لنا النَّبيُّ ﷺ قصَّتهم فقال:

«انْطَلَقَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمُ المَبِيتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لا أَغْبِقُ[1] قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلا مَالًا،

= فاليُسر الأول يسر الدنيا، والثاني يسر الآخرة. ينظر الكشاف للزمخشري: ص١٢١٠.

(١) الغَبُوق والغَبُوقة: النَّاقَةُ الَّتِي تُحْلَبُ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، والغَبُوق: شُرْبُ آخِرِ النَّهَارِ مُقَابِلُ الصَّبُوحِ، والمقصود هنا: مَا كُنْتُ أُقدِّم عَلَيْهِمَا أَحدًا فِي شُرْبِ نَصِيبِهِمَا مِنَ اللَّبَنِ الَّذِي يشربانِه. لسان العرب: ٢٨٢/١٠، مادة: غبق.

فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ[1] مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ: لا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

(١) السَّنَةُ: القَحْط والجدْب. انظر النهاية في غريب الحديث: ٤١٣/٢.

وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالبَقَرِ وَالغَنَمِ وَالرَّقِيقِ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»[1].

ـ **لطيفة:** في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣] وقوله: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧] **إشارةٌ** أنَّ المؤمن مبتلى في هذه الدنيا، وهذا الابتلاء إنما يحدث للتمحيص والاختبار، كما قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإجارة، باب مَن استأجر أجيرًا فترك أجره، برقم: /٢٢٧٢/ واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الرقاق، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة، برقم /٢٧٤٣/ كلاهما عن عبد الله بن عمر ﷺ.

وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢ ـ ٣] فمَن صبَر وثبتَ على الإيمان وكانت ثقتُه بالله عظيمة نالته رحمةُ الله، فأتاه الفرَجُ من الله تعالى، كما قال ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

إذن: لا بد من العُسْر والشِّدَّة ـ ونسأل الله العافية ـ لكن المؤمن **يرى الأمل في قلب الألم**، ويرى المنحة في قلب المحنة.

قال أحدهم: وما أشبه النَّكْبةَ بالبَيْضة، تُحسَب سجنًا لما فيها، وهي تحُوطه وتربِّيه وتُعينه على تمامه، وليس عليك إلا الصَّبر إلى مدَّة، والرضى إلى غاية، ثم تَنْقَف البَيْضة، فيخرج خَلْقًا آخر.

أيُّها الحاملُ همًّا إنَّ هذا لا يدومْ
فغدًا تبقى المسَرَّة وغدًا تفنى الهمومْ

رابعًا: التَّفاؤل بتيسير الأمور: فالمؤمن يعمل ويجتهد ويبني ويُخطِّط، ويعتمد على الله سبحانه في تيسير أموره امتثالًا لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، فلا طِيَرَة ولا تشاؤم ولا خوف من المستقبل ما دام الإنسان يأخذ بالأسباب الظاهرة مع التوكُّل على الله تعالى، يقول رسولنا ﷺ: «**لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ، وَلا هَامَةَ وَلا صَفَرَ**»(١).

ـ وكما هو معلوم؛ فإنَّ الله سبحانه جعل هذا الكون على سُنَن وقوانين منتظمة، فجعل لكل شيء سببًا، فإذا مشى الإنسان على هذه السُّنن وفعل الأسباب، جاءت النَّتائج بإذن الله.

قال د. **نجم الحصيني:**

ولقد بلغْتُ من التَّفاؤل أوْجَهُ ... وقلائلٌ مَن يفعلونَ قلائلُ

حتى تفاعيل البُحورِ قرَأتُها ... مُتَفائلٌ مُتَفائلٌ مُتَفائلُ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الجُذام، برقم: /٥٧٠٧/، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طِيَرَة برقم /٢٢٢١/ كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

خامسًا: التَّفاؤل بالشِّفاء: فالشَّافي هو الله ﷻ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

ـ ألم يلتجئ **نبيُّ الله أيوب** ﷺ إلى ربِّ السَّموات والأرض ﷻ وهو يعرض حاله فقال: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣ ـ ٨٤].

ـ يقول **سيد قطب** رحمه الله: أيوب هنا في دعائه لا يزيد على وصف حاله: أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ، ووصف ربه بصفته: وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، ثم لا يدعو بتغيير حاله، صبرًا على بلائـــه ولا يقترح شيئًا على ربه، تأدُّبًا معه وتوقيرًا فهو نموذج للعبد الصابر، لا يضيق صدره بالبلاء، ولا يتململ من الضر الذي تضرب به الأمثال في جميع الأعصار، بل إنَّه ليتحرَّج أن يطلب من ربِّه رفع البلاء عنه، فيَدَعُ الأمر كله إليه، اطمئنانًا إلى علمه بالحال وغناه عن السؤال، وفي اللحظة التي تَوجَّه فيها

أيوب إلى ربِّه بهذه الثقة وبذلك الأدب كانت الاستجابة، وكانت الرَّحمة، وكانت نهاية الابتلاء: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤][1].

فهذا هو حال المؤمن، يعلم أن الله معه، يحفظه ويحميه، فيتفاءل خيرًا، ويعلم أنَّ هذه الأمراضَ والآلام تكفيرٌ لسيِّئاته، ورفعٌ لدرجاته، يقول ﷺ: «مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلا وَصَبٍ، وَلا هَمٍّ وَلا حُزْنٍ وَلا أَذًى وَلا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»[2].

ويقول أيضًا: «مَا يَزَالُ البَلَاءُ بِالمُؤْمِنِ وَالمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»[3].

---

(١) في ظلال القرآن: ٤/٢٣٩٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفَّارة المرض، برقم: /٥٦٤١/ عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، برقم: /٢٣٩٩/ عن أبي هريرة ﷺ.

وجاءت **امرأة** إلى النبي ﷺ فقالت: «إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ: إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ، فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا»(١).

ـ أما الجاهل فترى التشاؤم واليأس يتسربان إلى قلبه فور وقوع المصيبة.

دخل النَّبيُّ ﷺ على **أَعْرابيٍّ** يعوده في مرضه، فَقَالَ لَهُ: «لا بَأْسَ، **طَهُورٌ** إِنْ شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: قُلْتَ: طَهُورٌ؟ كَلَّا، بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ، أَوْ تَثُورُ، عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ القُبُورَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَنَعَمْ إِذًا»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب فضل مَن يصرع من الريح، برقم: /٥٦٥٢/، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، برقم: /٢٥٧٦/ كلاهما عن ابن عباس ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب عيادة الأعراب، برقم: /٥٦٥٦/ عن ابن عباس ﷺ.

سادسًا: التَّفاؤل بالنصر: فالنصْر من عند الله ﷻ: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

وقد وعَدَ ﷻ أنبياءه وأولياءه بالنصر والتمكين بل وعد المؤمنين بذلك أيضًا فقال: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣]، وقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

ـ لذلك لما خرج **سيدنا موسى** عليه السلام بقومه من مصر فرارًا من فرعون، أتْبعهم فرعون وجنوده ولحقوا بهم حتى قال **أصحاب موسى**: ﴿إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢

فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴾ [الشعراء: ٦١ ـ ٦٦].

ـ وأما **طالوت** فإنه سار بالجيش لقتال عدو الله جالوت، وأراد أن يختبر صدق الجنود وثباتهم فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

ولم يرضَ خوض المعركة إلا مع هؤلاء القِلَّة الذين ثبتوا على الطَّاعة، ولكن البعض تعذَّر فقال: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

فجاء الجواب: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وما النتيجة؟

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩ ـ ٢٥١].

ـ وهذا **رسول الله** ﷺ يضرب أروع الأمثلة في هذا الجانب، حيث كان يبشِّر أصحابه دائمًا بالنَّصر والتمكين يقول الصحابيُّ الجليل **خَبَّاب بنُ الأَرَتِّ** رضي الله عنه: «شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ **«صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ»** لا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[1].

---

(١) خرَّجه البخاري في صحيحه، كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، برقم: /٦٩٤٣/.

وعَنْ **عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ** رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلى أَهْلِ «**أُحُدٍ**» صَلاتَهُ عَلى المَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلى المِنْبَرِ فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ، **وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ** ـ أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ ـ وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا»(١).

ـ ولما أراد الهجرة إلى المدينة المنورة، صعد جبل ثور ليتوارى فيه ثلاثة أيام، حتى يخفَّ عنه الطلب، وخرج المشركون ليبحثوا عنه حتى وصلوا إلى فم الغار، قال أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه: «فَرَأَيْتُ آثَارَ المُشْرِكِينَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَآنَا، قَالَ: مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، برقم: /١٣٤٤/، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبيِّنا ﷺ، برقم /٤٢٩٦/.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة براءة، باب =

ـ وأما **يوم الخندق**، فإن المشركين تجمَّعوا من كل حدب وصوب، يريدون القضاء على النبي ﷺ ودعوته وضاق الحال على المسلمين، واشتدَّ الكرْب، ولا يوجد أبلغ من هذه الآيات في وصف الحال: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٠ ـ ١٣].

ومع ذلك ظلَّ ﷺ متفائلًا بالنصر عليهم، يقول **البراء بن عازِب** رضي الله عنه: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ وَعَرَضَتْ لَنَا صَخْرَةٌ فِي مَكَانٍ مِنَ الخَنْدَقِ، لَا تَأْخُذُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ، قَالَ:

= قوله: ثاني اثنين إذ هما في الغار، برقم: /٤٦٦٣/، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه برقم /٢٣٨١/ كلاهما عن أبي بكر رضي الله عنه.

فَشَكَوْهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ، فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ وَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، **أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ**، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا ثُمَّ قَالَ: بِسْمِ اللهِ، وَضَرَبَ أُخْرَى، فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ فَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، **أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ**، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ، وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا، ثُمَّ قَالَ: بِسْمِ اللهِ، وَضَرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ فَقَالَ: اللهُ أَكْبَر، **أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ**، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا»(١).

فيا مَن تجاهد في سبيل الله، عليك بالالتجاء إلى الله، واجأر إليه بالدعاء وأحسن ظنَّك به، فهو سبحانه عند ظنِّ عبدِه به كما قال ﷺ فيما يروي عن ربِّ العزَّة ﷻ: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، أول مسند الكوفيين، حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، برقم: /١٨٦٩٤/.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: =

ـ وقال العلامة **الشيخ يوسف القرضاوي**: لقد وضح لدى الأجيال المسلمة طوال القرون أن الجهاد في سبيل الله ـ سواء أكان جهادًا روحيًا أو ماديًا ـ لا يهدره الله أبدًا ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وأنَّ مَن نصَرَ اللهَ نصرَهُ الله ومكّنَ له في الأرض، وإنما ينصر الله بالإيمان وعمل الصالحات، والصالحات كُلُّ ما تصلح به الحياة روحيًا وماديًا، وما يصلح به الإنسان فرديًا وجماعيًا: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠ ـ ٤١]،

= ويحذركم الله نفسه، برقم: /٧٤٠٥/ واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الذِّكر والدعاء والتوبة، باب فضل الذكر والدعاء برقم: /٢٦٧٥/ كلاهما عن أبي هريرة ﷺ.

ويقول سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥](١).

والأمر لله تعالى من قبل ومن بعد؛ وهو تعالى ينصر من يشاء، كيف شاء ومتى شاء، والمشيئة التي تريد النتيجة هي ذاتها التي تيسر الأسباب؛ فلا تعارُض بين تعليق النَّصر بالمشيئة ووجود الأسباب والنواميس(٢).

سابعًا: التَّفاؤل بالرزق: فالرزاق هو الله تعالى المتكفِّل بهذا الرزق فهو القائل: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢ ـ ٢٣].

---

(١) المبشرات بانتصار الإسلام: ص ١٣٩ ـ ١٤٠.

(٢) مجلة البعث الإسلامي الهندية، العدد: ٨/ ٢٠١٨، ص:٣٥ بعنوان: المعركة معركة عقيدة وإن تلوَّنت.

يُعطي جلَّ في علاه من فيض خزائنه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨].

يُعطي ويمنع بحكمته: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧].

ـ وإذا أراد رزق العبد هيَّأ له الأسباب وذلَّل له الصعاب يقول ﷺ: «بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ(١)، فَإِذَا شَرْجَةٌ(٢) مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ ـ لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ ـ فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ

(١) الْحَرَّةُ بِالْفَتْحِ: أَرْضٌ ذَاتُ حِجَارَةٍ سُودٍ، وَالْجَمْعُ حِرَارٌ. المصباح المنير: ١٢٨/١.

(٢) الشَّرْجة: مَسِيل الْمَاءِ مِنَ الحَرَّة إلى السَّهْلِ. لسان العرب: ٣٠٧/٢ مادة شرج.

اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ»(١).

ولعل من أعظم الآيات التي تبعث الطمأنينة في باب الرزق قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [آل عمران: ٢٦ ـ ٢٧].

ولقد قصَّ علينا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قصَّة السيِّدة المطهَّرة العذراء مريم عليها السلام، حينما رزقها من حيث لا تحتسب قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب الصدقة في المساكين، برقم: /٢٩٨٤/ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٣٧].

ـ قال **الواقدي** رحمه الله: أضقت ـ من ضيق المال ـ مرة، وأنا مع يحيى بن خالد، **وحضر عيد**، فجاءتني الجارية، فقالت: ليس عندنا من آلة العيد شيء.

فمضيت إلى تاجر صديق لي؛ ليقرضني، فأخرج إلي كيسًا مختومًا فيه ألف دينار ومائتا درهم، فأخذته، فما استقررت في منزلي حتى جاءني صديق لي هاشمي، فشكا إليَّ تأخُّر غلَّته، وحاجتَهُ إلى القرْض.

فدخلتُ إلى زوجتي، فأخبرتها، فقالت: على أيِّ شيء عزمت؟

قلتُ: على أن أقاسمه الكيس.

قالت: ما صنعتَ شيئًا، أتيتَ رجلًا سُوقَة، فأعطاك ألفًا ومائتي درهم، وجاءك رجل من آل رسول الله ﷺ تعطيه نصف ما أعطاك السوقة!

فأخرجت الكيس كلَّه إليه، فمضى، فذهب صديقي التاجر إلى الهاشمي ـ وكان صاحبه ـ فسأله القرض، فأخرج الهاشميُّ إليه الكيس بعينه، فعرفه التاجر، وانصرف إليَّ فحدثني بالأمر.

قال: وجاءني رسول يحيى يقول: إنما تأخَّر رسولنا عنك لشغلي، فركبت إليه، فأخبرته أمر الكيس، فقال: يا غلام، هات تلك الدَّنانير.

فجاءه بعشرة آلاف دينار، فقال: خذ ألفي دينار لك وألفي دينار للتَّاجر، وألفين للهاشمي، وأربعة آلاف لزوجتك فإنها أكرمُكم[1].

فالرِّزق مُقدَّر، والعمل مطلوب، قال ابن زريق البغدادي:

قد وزَّع الله بَينَ النَّاسِ رزقهمُ

لمْ يَخْلقِ اللهُ مِنْ خَلْقٍ يُضَيِّعُهُ

(١) سير أعلام النبلاء: ٤٦٦/٩ ـ ٤٦٧.

والحِرْصُ فِي الرِّزقِ والأرزاقُ قدْ قُسِمَتْ

بَغْيٌ، أَلَا إِنَّ بغْيَ الْمَرْءِ يَصْرَعُهُ[1]

وقال عروة بن أذينة:

لقد علمْتُ، وَمَا الإشرافُ من خُلُقي

أَنَّ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوفَ يأتيني[2]

ثامنًا: التَّفاؤل بقضاء الدَّين: ما دامت هناك نيَّة لأداء المال وردِّه لأصحابه، مع العمل ضمن الأسباب المقدور عليها، فأبشر أخي ببشارة الحبيب المصطفى ﷺ الذي يقول: «**مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ**»[3].

---

(١) من قصيدة لعلي بن زريق. ينظر الوافي بالوفيات للصفدي: ٧٦/١١.

(٢) في الأصل: الإسراف، والتصحيح: الإشراف، لمحمد كرد علي. ينظر الفرج بعد الشدة للتنوخي: ١٤٨/٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب في الاستقراض، باب مَن أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها، برقم: /٢٣٨٧/ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ـ «دَخَلَ رَسُولُ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُ: **أَبُو أُمَامَةَ**، فَقَالَ: يَا أبا أُمَامَةَ، مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي المَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ؟ قَالَ: **هُمُومٌ لَزِمَتْنِي وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ**، قَالَ: أَفَلَا أُعَلِّمُكَ كَلَامًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ، وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، يَا رَسُولَ الله، قَالَ: قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ**، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمِّي وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي»[1].

ـ وجاء رجلٌ **مكاتَب إلى سيدنا عليٍّ** رضي الله عنه فقال: «إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ مُكَاتَبَتِي فَأَعِنِّي، قَالَ: أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ **جَبَلِ «صَبِرٍ» دَيْنًا**

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة، برقم: /١٥٥٥/ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

أَدَّاهُ اللَّهُ عَنْكَ، قَالَ: قُلْ: **اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ**»[1].

ـ وهذه قصة عجيبة حدثت مع **عَبْدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ** رضي الله عنهما قَالَ: «لَـمَّا وَقَفَ الزُّبَيْرُ يَوْمَ الجَمَلِ دَعَانِي، فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ فَقَالَ: يَا بُنَيِّ، إِنَّهُ لا يُقْتَلُ اليَوْمَ إِلَّا ظَالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ، وَإِنِّي لا أُرَانِي إِلَّا سَأُقْتَلُ اليَوْمَ مَظْلُومًا، وَإِنَّ مِنْ أَكْبَرِ هَمِّي لَدَيْنِي أَفَتُرَى يُبْقِي دَيْنُنَا مِنْ مَالِنَا شَيْئًا؟

فَقَالَ: يَا بُنَيِّ بِعْ مَالَنَا، فَاقْضِ دَيْنِي، وَأَوْصَى بِالثُّلُثِ وَثُلُثِهِ لِبَنِيهِ ـ يَعْنِي بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ـ يَقُولُ: ثُلُثُ الثُّلُثِ، فَإِنْ فَضَلَ مِنْ مَالِنَا فَضْلٌ بَعْدَ قَضَاءِ الدَّيْنِ شَيْءٌ، فَثُلُثُهُ لِوَلَدِكَ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَجَعَلَ يُوصِينِي بِدَيْنِهِ، وَيَقُولُ: **يَا بُنَيِّ إِنْ عَجَزْتَ عَنْهُ فِي شَيْءٍ، فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَوْلايَ**.

قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ: يَا أَبَتِ مَنْ مَوْلاكَ؟ قَالَ: اللَّهُ.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات، برقم: /٣٥٦٣/ عن عليٍّ رضي الله عنه.

قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ، إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ اقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ، فَيَقْضِيهِ.

فَقُتِلَ الزُّبَيْرُ ﵁، وَلَمْ يَدَعْ دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا إِلَّا أَرَضِينَ مِنْهَا الغَابَةُ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ دَارًا بِالمَدِينَةِ، وَدَارَيْنِ بِالْبَصْرَةِ وَدَارًا بِالكُوفَةِ، وَدَارًا بِمِصْرَ، قَالَ: وَإِنَّمَا كَانَ دَيْنُهُ الَّذِي عَلَيْهِ، أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَأْتِيهِ بِالمَالِ، فَيَسْتَوْدِعُهُ إِيَّاهُ، فَيَقُولُ الزُّبَيْرُ: لا وَلَكِنَّهُ سَلَفٌ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ الضَّيْعَةَ، وَمَا وَلِيَ إِمَارَةً قَطُّ وَلا جِبَايَةَ خَرَاجٍ، وَلا شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي غَزْوَةٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ ﵃.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ﵄: فَحَسَبْتُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ فَوَجَدْتُهُ أَلْفَيْ أَلْفٍ وَمِائَتَيْ أَلْفٍ، قَالَ: فَلَقِيَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي كَمْ عَلَى أَخِي مِنَ الدَّيْنِ؟ فَكَتَمَهُ، فَقَالَ: مِائَةُ أَلْفٍ، فَقَالَ حَكِيمٌ: وَاللَّهِ مَا أُرَى أَمْوَالَكُمْ تَسَعُ لِهَذِهِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: أَفَرَأَيْتَكَ إِنْ كَانَتْ أَلْفَيْ أَلْفٍ وَمِائَتَيْ أَلْفٍ؟ قَالَ: مَا أُرَاكُمْ تُطِيقُونَ هَذَا، فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِينُوا بِي.

قَالَ: وَكَانَ الزُّبَيْرُ اشْتَرَى الغَابَةَ بِسَبْعِينَ وَمِائَةِ أَلْفٍ فَبَاعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بِأَلْفِ أَلْفٍ وَسِتِّ مِائَةِ أَلْفٍ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ حَقٌّ، فَلْيُوَافِنَا بِالْغَابَةِ فَأَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَكَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ أَرْبَعُ مِائَةِ أَلْفٍ، فَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ: إِنْ شِئْتُمْ تَرَكْتُهَا لَكُمْ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لا قَالَ: فَإِنْ شِئْتُمْ جَعَلْتُمُوهَا فِيمَا تُؤَخِّرُونَ إِنْ أَخَّرْتُمْ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لا، قَالَ: فَاقْطَعُوا لِي قِطْعَةً، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَكَ مِنْ هَاهُنَا إِلَى هَاهُنَا، قَالَ: فَبَاعَ مِنْهَا فَقَضَى دَيْنَهُ فَأَوْفَاهُ، وَبَقِيَ مِنْهَا أَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ وَنِصْفٌ فَقَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، وَعِنْدَهُ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ وَالمُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَابْنُ زَمْعَةَ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: كَمْ قُوِّمَتِ الغَابَةُ؟ قَالَ: كُلُّ سَهْمٍ مِائَةَ أَلْفٍ، قَالَ: كَمْ بَقِيَ؟ قَالَ: أَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ وَنِصْفٌ قَالَ المُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ، قَالَ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ، وَقَالَ ابْنُ زَمْعَةَ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: كَمْ بَقِيَ؟ فَقَالَ: سَهْمٌ وَنِصْفٌ، قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهُ بِخَمْسِينَ وَمِائَةِ أَلْفٍ، قَالَ: وَبَاعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ نَصِيبَهُ مِنْ مُعَاوِيَةَ بِسِتِّ مِائَةِ أَلْفٍ.

فَلَمَّا فَرَغَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ قَضَاءِ دَيْنِهِ، قَالَ بَنُو الزُّبَيْرِ: اقْسِمْ بَيْنَنَا مِيرَاثَنَا، قَالَ: لا، وَاللَّهِ لا أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ حَتَّى أُنَادِيَ بِالمَوْسِمِ أَرْبَعَ سِنِينَ: أَلَا مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا فَلْنَقْضِهِ، قَالَ: فَجَعَلَ كُلَّ سَنَةٍ يُنَادِي بِالمَوْسِمِ فَلَمَّا مَضَى أَرْبَعُ سِنِينَ قَسَمَ بَيْنَهُمْ، قَالَ: فَكَانَ لِلزُّبَيْرِ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ، وَرَفَعَ الثُّلُثَ، **فَأَصَابَ كُلَّ امْرَأَةٍ أَلْفُ أَلْفٍ وَمِائَتَا أَلْفٍ، فَجَمِيعُ مَالِهِ خَمْسُونَ أَلْفَ أَلْفٍ، وَمِائَتَا أَلْفٍ**»[1].

قال الشاعر:

ويَبْقى **التَّفاؤل** بينَ البَشَــرْ كغَيْمٍ تَهاطَلَ منهُ المطَـــرْ
فيَـرْوي القُلوبَ شَذى عطْـرِهِ ويـرْسمُ للعينِ أرقى الصُّـورْ

تاسعًا: التَّفاؤل باستجابة الدعاء: فالله ﷻ قد وعد المؤمنين بالاستجابة لدعائهم فقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب بركة الغازي في ماله حيًّا وميتًا، برقم: /٣١٢٩/.

بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] وقال ﷻ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢].

وقد نقل الحافظ ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية المتقدمة عن الحافظ ابن عساكر الدمشقي قال: كُنْتُ أُكَارِي عَلَى بَغْلٍ لِي ـ يركب الناس عليه للسفر بالأجرة ـ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى الزّبَدَاني، فَرَكِبَ مَعِي ذَاتَ مَرَّةٍ رَجُلٌ، فَمَرَرْنَا عَلَى بَعْضِ الطَّرِيقِ عن درب غَيْرِ مَسْلُوكَةٍ، فَقَالَ لِي: خُذْ فِي هَذِهِ الطريق، فَإِنَّهَا أَقْرَبُ، فَقُلْتُ له: لَا خبرَةَ لِي فِيهَا، فَقَالَ: بَلْ هِيَ أَقْرَبُ. فَسَلَكْنَاهَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَكَانٍ وَعْر وَوَادٍ عَمِيقٍ، وَفِيهِ قَتْلَى كَثِيرون، فَقَالَ لِي الرجل: أَمْسِكْ رَأْسَ الْبَغْلِ حَتَّى أَنْزِلَ، فَنَزَلَ وَتَشَمَّرَ، وَجَمَعَ عَلَيْهِ ثِيَابَهُ، وَسَلَّ سِكِّينًا مَعَهُ وَقَصَدَنِي، فَفَرَرْتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَتَبِعَنِي، فَنَاشَدْتُهُ اللَّهَ وَقُلْتُ: خُذِ الْبَغْلَ بِمَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: هُوَ لِي، وَإِنَّمَا أُرِيدُ قَتْلَكَ، فَخَوَّفْتُهُ باللَّهَ وَالْعُقُوبَةَ منه، فَلَمْ يَقْبَلْ، فَاسْتَسْلَمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقُلْتُ: إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَتْرُكَنِي حَتَّى أُصَلِّيَ

رَكْعَتَيْنِ؟ فَقَالَ: لك ذلك، وَعَجِّلْ. فقمت أصلي فَأَرْتِج عليَّ، أي: ذهب عني كُلُّ ما أحفظه من الْقُرْآنُ فَلَمْ يَحضرني مِنْهُ حَرْفٌ وَاحِدٌ، فَبَقِيتُ وَاقِفًا مُتَحَيِّرًا وَهُوَ يَقُولُ لي: هيا افرُغ. فَأَجْرَى اللَّهُ عَلَى لِسَانِي قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢] فَإِذَا أَنَا بِفَارِسٍ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ فَمِ الْوَادِي، وَبِيَدِهِ حَرْبَةٌ، فَرَمَى بِهَا الرَّجُلَ فَمَا أَخْطَأَتْ فُؤَادَهُ، فَخَرَّ صَرِيعًا، فَتَعَلَّقْتُ بِالْفَارِسِ وَقُلْتُ: بِاللَّهِ مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا عبد الَّذِي يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ، فَأَخَذْتُ الْبَغْلَ وَالْحَمْلَ وَرَجَعْتُ سَالِمًا[1].

ـ وإجابة الدعاء تكون على **قدْر ثقة الإنسان بربه**، لذلك أرشدنا نبيُّنا ﷺ أن ندعوا الله ونحن متفائلون وموقنون بالإجابة، يقول ﷺ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»[2]، ويقول أيضًا: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ

(١) ينظر تفسير ابن كثير: ٦/٢٠٤، ورسالة المسترشدين: ص٨٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب يُستجاب للعبد ما لم يعجل، برقم: /٦٣٤٠/، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء

مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ»[1].

والدعاء يعبِّر عن تفاؤل الإنسان، فاليائس القنوط لا يرفع يديه ولا يلتجئ إلى رب العالمين، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت: ٤٩].

أما المؤمن الواثق بربه فإنه لا يفتأ يدعو ويُلحُّ في الدعاء، مقتديًا بالنبي ﷺ فإنه كان كثير الالتجاء إلى الله ﷻ.

ـ وها هو ﷺ **(يوم بدر)** يدعو ويقول: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ فَأَتَاهُ أَبُو

والتوبة باب بيان أنه يُستجاب للداعي ما لم يعجل، برقم: /٢٧٣٥/ كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات، برقم: /٣٤٧٩/ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

بَكْرٍ ﷺ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: صَدَقْتَ ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَة»[1].

ـ أما **يوم الأحزاب** فإنه ﷺ دعا فقال: «اللَّهُمَّ، مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ، اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ»[2].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، برقم: /١٧٦٣/ عن عمر بن الخطاب ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب الدعاء =

وعَنْ **أَنَسِ بنِ مَالِكٍ** ﷺ «أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ المَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ القَضَاءِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا اللَّهُمَّ أَغِثْنَا.

قَالَ أَنَسٌ ﷺ: وَلا وَاللَّهِ، مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلا قَزَعَةً وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ **سَلْعٍ** ـ جبل بالمدينة المنورة ـ مِنْ بَيْتٍ وَلا دَارٍ، قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ، فَلا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا.

ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ البَابِ فِي الجُمُعَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ

= على المشركين بالهزيمة والزلزلة، برقم: /٢٩٣٣/، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو، برقم: /١٧٤٢/ عن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ.

الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ، وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ، قَالَ: فَأَقْلَعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ»[1].

وورد أَنَّ **عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ** رضي الله عنه «كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالعَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ رضي الله عنه، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قَالَ: فَيُسْقَوْنَ»[2].

لا تَشْكُ للنَّاسِ همًّا وكنْ بربِّك واثِقْ
قلْ حَسْبيَ اللَّهُ ربِّـي ودَعْ سؤالَ الخَـلائقْ
هلْ يَسْألُ العبدُ عبدًا والله للـكلِّ رازقْ

---

(١) خرَّجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في المسجد الجامع، برقم: /١٠١٣/، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، برقم: /٨٩٧/.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، برقم: /٣٧١٠/ عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

فالجأْ إليه وَسَلْهُ واجعلْ يَقينَكَ سَابقْ
فلن يَخِيبَ دُعاءٌ للَّه يُرْفعُ صادقْ

عاشرًا: التَّفاؤل بنشر الدَّعوة ووصولها إلى العالَم:

فهذا نبيُّ الله **نوح** عليه السلام ظلَّ يدعو قومه، ومكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا يحاورهم ويُرشدهم، ولم ييأس منهم مع أنه لم يؤمن له إلا القليل كما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

ولم يدعُ عليهم إلى أن خاطبه الله بقوله: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [هود: ٣٦ ـ ٣٧] عند ذلك دعا عليهم فقال: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦ ـ ٢٧].

وأما **نبيُّنا محمد** صلى الله عليه وسلم فإنه ظلَّ يدعو إلى الله عزَّ وجل وهو يبشِّر أصحابه رضي الله عنهم ويقول: «وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ

الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[1].

وقال أيضًا: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ»[2].

وحينما ضيَّق عليه أهلُ مكة ومنعوه أن يبلِّغ رسالة الله خرج إلى الطائف، لكنه لم يلق هناك إلا تكذيبًا وأذى، فقد سلَّطوا عليه سفهاءهم، ورموه بالحجارة حتى سال الدم منه ﷺ، وخرج من الطائف عائدًا إلى مكة المكرمة.

فماذا فعل ﷺ؟

هل دخل اليأس إلى قلبه؟

هل دعا الله أن يُهلك أعداءه؟

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٥.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الشاميين، حديث تميم الدَّراي رضي الله عنه برقم: /١٦٩٥٧/ عن تميم الدَّراي رضي الله عنه.

وكيف يدعو عليهم وهو الرحمة المهداة!

يقول ﷺ: «فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ عليه السلام فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»[1].

أليس هذا هو قمة التَّفاؤل؟

وقد استجاب الله له وحقَّق رجاءه ﷺ، حيث أسلم أهل الطائف بعد فتح مكة[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى، برقم: /٣٢٣١/، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب ما لقي النبيُّ ﷺ من أذى، برقم: /١٧٩٥/كلاهما عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقي: ٢٩٩/٥.

فما أحرانا أن نتشبَّه بهؤلاء ولو عملنا قليلًا كما في الحديث الذي خرَّجه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ عن النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ مَنْ تَرَكَ مِنْكُمْ عُشْرَ مَا أُمِرَ بِهِ هَلَكَ ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ مَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِعُشْرِ مَا أُمِرَ بِهِ نَجَا»[1].

ـ ويقول **سيد قطب** ﷺ في مذكراته: عرضت على زملائي وأنا طالب بدار العلوم أن نخرج للوعظ في المقاهي فعارضوا، وكنت أخالفهم في هذه النظرة وكنت أعتقد أن كثيرًا من روَّاد المقاهي فيهم خير.

وقلت لزملائي: إن العبرة **بحُسن اختيار الموضوع** فلا نتعرض لما يجرح شعورهم.

وبطريقة العرض، فتعرض بأسلوب شائق جذَّاب.

وبالوقت، فلا نطيل عليهم القول.

وقمنا بالتجربة، فألقيت في أول ليلة أكثر من عشرين

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الفتن، برقم: /٢٢٦٧/ وقال: حديث غريب.

خطبة، تستغرق الواحدة منها ما بين خمس دقائق إلى عشر.

ولقد كان شعور السامعين عجيبًا، وكانوا دائمًا بعد الخطبة يُقْسِمون أن نشرب شيئًا، فنعتذر لهم بضيق الوقت، وبأننا نذرْنا هذا الوقت لله.

وكان **أسوتنا قولُ كل رسول**: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ [الأنعام: ٩٠].

ونجحت التجربة مائة في المائة بفضل الله وتوفيقه[١].

الحادي عشر: التَّفاؤل بتحصيل العلم: فالعلم كسْبٌ يحصل عليه الإنسان بالصبر والمصابرة والتحصيل كما قال ﷺ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْفِقْهُ بِالتَّفَقُّهِ، وَمَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[٢].

وهذا **عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما يحكي لنا قصته في طلب العلم فيقول: «لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ

---

(١) بقايا شمعة: ص٣٧.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ٣٩٥/١٩ عن معاوية رضي الله عنه.

يَا فُلَانُ هَلُمَّ فَلْنَسْأَلْ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَإِنَّهُمُ الْيَوْمَ كَثِيرٌ.

فَقَالَ: واعجبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَتَرَى النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَيْكَ، وَفِي النَّاسِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ تَرَى؟.

فَتَرَكَ ذَلِكَ، وَأَقْبَلْتُ عَلَى الْمَسْأَلَةِ، فَإِنْ كَانَ لَيَبْلُغُنِي الْحَدِيثُ عَنِ الرَّجُلِ فَآتِيهِ، وَهُوَ قَائِلٌ[1]، فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ، فَتَسْفِي الرِّيحُ عَلَى وَجْهِي التُّرَابَ، فَيَخْرُجُ فَيَرَانِي فَيَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ مَا جَاءَ بِكَ؟ أَلَا أَرْسَلْتَ إِلَيَّ فَآتِيَكَ؟ فَأَقُولُ: لَا، أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيَكَ. فَأَسْأَلُهُ عَنِ الْحَدِيثِ.

قَالَ: فَبَقِيَ الرَّجُلُ حَتَّى رَآنِي، وَقَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيَّ فَقَالَ: كَانَ هَذَا الْفَتَى أَعْقَلَ مِنِّي»[2].

ـ بل هذه قصة نبيِّ الله **موسى** عليه السلام فقد سئل: «هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ مُوسَى: لَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَى مُوسَى بَلْ عَبْدُنَا **الْخَضِرُ**، قَالَ: فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لُقِيِّهِ فَجَعَلَ اللهُ لَهُ الْحُوتَ آيَةً، وَقِيلَ لَهُ: إِذَا افْتَقَدْتَ الْحُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ

(١) من القيلولة، وهي النوم وقت الظهيرة. مختار الصحاح: ٢٦٤/١.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه، باب الرحلة في طلب العلم، برقم: /٥٩٠/.

سَتَلْقَاهُ، فَسَارَ مُوسَى مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسِيرَ ثُمَّ قَالَ لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا، فَقَالَ فَتَى مُوسَى، حِينَ سَأَلَهُ الْغَدَاءَ: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: ٦٣]. فَقَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤]، فَوَجَدَا **«خَضِرًا»**، فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا مَا قَصَّ اللهُ فِي كِتَابِهِ»[1].

ـ وقد **عنْوَن البخاريُّ** ﷺ فقال: بابُ الخروج في طلب العلم، **وقد رحل جابرُ** بنُ عبد الله ﷺ مسيرةَ شهرٍ إلى عبد الله بنِ أُنَيْس ﷺ في حديث واحد[2].

ولا شيء يُعيق الإنسان عن طلب العلم إذا توفرت عنده الإرادة، فلا الفقر مانع، ولا المرض مانع.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء ﷺ، باب حديث الخضر مع موسى ﷺ، برقم: /٣٤٠٠/، ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب من فضائل الخضر ﷺ، برقم: /٢٣٨٠/ كلاهما عن ابن عباس ﷺ.

(٢) صحيح البخاري معلَّقًا: ٢٦/١ في باب الخروج في طلب العلم.

ـ فهذا **أبان بن عثمان** بن عفَّان ﷺ كان به حَوَلٌ وبَرَص، ثم أصابه الفالِجُ مع شيء من الصَّمَم، ومع ذلك كان من فقهاء التابعين وعلمائهم في الحديث، وعيَّنه عبد الملك بن مروان واليًا على المدينة[1].

ـ و**عطاء بنُ أبي رَباح** ﷺ إمام أهل مكة وفقيهها، فعلى الرغم من أنَّه كان أشلَّ وأعرج، إلا أنَّه كان عالمًا وفقيهًا، وكان الآلاف من طلاب العلم يتدافعون على النَّهْل من علمه.

ـ وهذا هو الأديب **مصطفى صادق الرافعي** ﷺ أُصيب بالصَّمم في الثلاثين من عمره، ولم تقف إعاقته حاجزًا في وجهه، فقد حقَّق شهرة أدبيَّة واسعة، وخدم الإسلام بأدبه وشعره[2].

هذا والعلم ليس حِكْرًا على الرِّجال، بل عني به النِّساء، وإنَّما ينالُه طلَّابُه، فهذه **السيِّدة عائشة** ﷺ تروي لنا آلاف الأحاديث عن رسول الله ﷺ، وكان بعض الصحابة ﷺ

---

(١) انظر الأعلام: ٢٧/١.

(٢) عندما يشرق الصباح: ص٥٠.

يرجعون إليها في الفُتيا، يقول **عُروة بن الزُّبير** ﵁: سَأَلْتُ عَائِشَةَ ﵂ فَقُلْتُ لَهَا: «أَرَأَيْتِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]، فَوَاللَّهِ مَا عَلَى أَحَدٍ جُنَاحٌ أَنْ لا يَطُوفَ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ، قَالَتْ: بِئْسَ مَا قُلْتَ يَا ابْنَ أُخْتِي، إِنَّ هَذِهِ لَوْ كَانَتْ كَمَا أَوَّلْتَهَا عَلَيْهِ، كَانَتْ: لا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لا يَتَطَوَّفَ بِهِمَا، وَلَكِنَّهَا أُنْزِلَتْ فِي الأَنْصَارِ، كَانُوا قَبْلَ أَنْ يُسْلِمُوا يُهِلُّونَ لِمَنَاةَ الطَّاغِيَةِ، الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا عِنْدَ المُشَلَّلِ، فَكَانَ مَنْ أَهَلَّ يَتَحَرَّجُ أَنْ يَطُوفَ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا، سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا نَتَحَرَّجُ أَنْ نَطُوفَ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٥٨] الآيَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ ﵂: وَقَدْ سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرُكَ الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب وجوب السعي بين الصفا والمروة، برقم: /١٦٤٣/.

وعَنْ **عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ**، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ ﵂ عَنِ الرُّقْيَةِ؟ فَقَالَتْ: «رَخَّصَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي الرُّقْيَةِ مِنْ كُلِّ ذِي حُمَةٍ»(١).

ـ وكان للشيخ **علاء الدين السمرقندي** بنت اسمها **فاطمة** رباها فأحسن تربيتها وتعليمها، وكانت **فقيهة عالمة وحفظت تحفة أبيها** كتاب (تحفة الفقهاء) وقد تسامع بها الملوك فخطبوها، فامتنع والدها حتى جاء تلميذ الشيخ (الكاساني) وصنف كتاب «بدائع الصنائع» وهو في الحقيقة شرح لكتاب شيخه «التحفة» فعرضه على شيخه، ففرح به فرحًا شديدًا، وزوّجه ابنته، فجعل مهرها منه ذلك الكتاب الذي أَلَّفَه، وكان زوجها يُخطئ فترده إلى الصواب، وكانت الفتوى تأتي فتخرج وعليها خطُّها وخطُّ أبيها، فلمَّا تزوَّجت كانت الفتوى تخرج وعليها خطُّها وخطُّ أبيها وخطُّ زوجها(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب استحباب الرقية، برقم: /٢١٩٣/.

(٢) الفوائد البهية لعبد الحي اللكنوي الهندي: ص ١٥٨.

وهذه الأخت **أم طه**، امرأة في **السبعين من عمرها**، يخطر في بالها هذا السؤال: كيف تُقرأ كلمة (الله)؟ فانهالت دموعها على خدِّها أسفًا، كيف لا أعرف قراءة اسم الخالق ﷻ وقررت أن تتعلَّم قراءته.

ذهبت لإحدى جاراتها، طالبة منها أن تُعلِّمها قراءة لفظ الجلالة، ولم تخرج حتى تعلَّمت قراءته، فذهبتْ إلى منزلها وأحضرت المصحف، وصارت تُقلِّب صفحاته، كلما وجدت لفظ الجلالة قرأته، حتى أنهت قراءة لفظ الجلالة في كل المصحف.

ودخل نور القرآن في قلبها، ففكرت: لماذا لا أتعلَّم بقية كلام الله، بعد أن تعلَّمتُ قراءة لفظ (الله)!.

وذهبت إلى جارتها وطلبت منها ذلك.

لكن، هل يمكن لامرأة بلغت السبعين من عمرها وهي أُمِّيَّة أن تبدأ رحلة العلم والتعلُّم؟

الإرادة والتصميم والعزيمة تجعل الصَّعب سهلًا.

هذا ما حدث مع أم طه، لقد استطاعت أن **تُتْقن تلاوة القرآن، ثمَّ حِفْظَه،** بعد أن بلغت السبعين من عمرها[1].

وهذا شيخ مدينة حمص السوريَّة **الشيخ محمود الجنيد** الحنفيّ، يتزوَّج امرأة أُمِّيَّة، ففرَّغ لها من وقته ساعة كلَّ يوم، حتى تعلَّمت وتفقَّهت على يديه رحمهما الله.

وممن تلقَّت العلم على يد زوجها وكانت تقول له **شيخي**: زوجة إمام الحرم **المكي العلامة سنان الدين الأماسي،** حيث آنست منه طولَ صمت، فبثَّت لصويحباتها ما تجد، فنصحْنها أن تُطلِّقه، فقالت: وكيف أطلقه وهو شيخي!

الثاني عشر: التَّفاؤل بدخول الجنَّة: وهذا من باب حُسنِ الظنِّ بالله جلَّ في علاه، يقول تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٢].

---

(١) وهذه القصة رواها الدكتور يحيى الغوثاني بعد أن التقى أمَّ طه.

ويقول الصَّحابي الجليل **معاذُ بنُ جَبَل** ﷺ: «بَيْنَمَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ ﷺ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا آخِرَةُ الرَّحْلِ فَقَالَ: يَا مُعَاذُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ بنَ جَبَلٍ قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لا يُعَذِّبَهُمْ»(١).

ـ **وقيل لأعرابيّ**: هل تحدِّث نفسك بدخول الجنَّة؟ قال: والله ما شككت قطُّ أنِّي سوف أخطو في رياضها، وأشرب من حِياضها، وأستظلُّ بأشجارها، وآكلُ من ثمارها، وأتَفَيَّأ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب إرداف الرجل خلف الرجل، برقم: /٥٩٦٧/، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب مَن مات على التوحيد دخل الجنة، برقم: /٣٠/.

ظِلالها، وأترشَّف من قِلالها، وأستمتع بحورها في غُرَفها وقُصُورها.

قيل له: أفبحسنةٍ قدّمتها أم بصالحةٍ أسلفتها؟

قال: وأيُّ حسنةٍ أعلى شرفًا، وأعظم خطرًا من إيماني بالله تعالى، وجحودي كلّ معبودٍ سوى الله تبارك وتعالى.

قيل له: أفلا تخشى الذُّنوب؟

قال: خَلَقَ الله المغفرةَ للذُّنوب، والرَّحمة للخطأ، والعفْوَ للجُرْم، وهو أكرم من أنْ يُعذِّب محبِّيه في نار جهنَّم.

فكان النَّاس في مسجد البصرة يقولون: لقد حسُنَ ظنُّ الأعرابيّ بربّه، وكانوا لا يذكرون حديثه إلا انجلت غمامة اليأس عنهم، وغلب سلطان الرّجاء عليهم(١).

ونختم بقصة امرأة فرعون، فقد كانت تسكن في قصر فرعون، ولكن الإيمان حين خالط بشاشة قلبها دعت الله فقالت: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: ١١].

---

(١) البصائر والذخائر: ١٤٦/٨.

من أهم ضوابط التَّفاؤل

هناك خلط بين التَّفاؤل والتواكل والتهوُّر، **لذلك لا بُدَّ من وضع ضوابط للتَّفاؤل، منها:**

١ـ العمل بالأسباب مع التوكُّل على الله المستعان:

فمَن تفاءل بالنَّجاح دون أن يبذل الجُهد في التحصيل والدراسة، فتفاؤله في غير محلِّه، فمَن طلب العلا سهر الليالي.

ـ **والمريض** إذا تفاءل بالشِّفاء دون تناولِ العلاج المناسب، فتفاؤله في غير محلِّه، يقول ﷺ: «تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً»(١)، ويقول أيضًا: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»(٢).

ـ **والمجاهد** الذي يتفاءل بالنَّصر على الأعداء دون أن يُعِدَّ

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطب، باب في الرجل يتداوي، برقم: /٣٨٥٥/، والترمذي في سننه، أبواب الطب، باب ما جاء في الدواء والحث عليه، برقم: /٢٠٣٨/ عن أسامة بن شريك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، برقم: /٥٦٧٨/ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

العُدَّة، فتفاؤله غير صحيح، يقول تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، أما إذا خاض المعركة قبل أن يكون مستعدًّا لها فهذا **تهوُّر**، وليس من التَّفاؤل في شيء، لذلك لما استلم الصحابيُّ الكبير سيفُ الله **خالد بن الوليد** ﷺ قيادة الجيش في معركة **(مؤتة)**، ورأى أنَّ عدد جيش المسلمين لا يتناسب مع عدد العدوِّ، عمل على خطَّةٍ للتَّراجع دون خسارة، وهذا هو النَّصر والفتْح كما سمَّاه رسول الله ﷺ حيث قال: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ ـ وَإِنَّ عَيْنَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَتَذْرِفَانِ ـ حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ **سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ**، حَتَّى **فَتَحَ اللَّهُ** عَلَيْهِمْ»[1].

ـ **والمرء** إن تفاءل بدخول الجنَّة، ثم تَقاعس عن العمل الصالح فهو يَخْدع نفسه، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، برقم: /٤٢٦٢/ عن أنس بن مالك ﷺ.

وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا﴾ [النساء: ١٢٢ ـ ١٢٤].

فدخول الجنَّة ليس بالتشهِّي ولا بالتمنِّي، ومَن أحسن الظنَّ بالله فلْيُحْسن العمل، كما نقل ابنُ القيِّم رحمه الله[1] قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وهكذا **فالتَّفاؤل هو الأخذ بالأسباب مع صدق التوكُّل** على الله تعالى، ففي الرزق مثلًا يقول ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا»[2].

---

(١) مدارج السالكين: ص١٤١٦.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الزهد، باب في التوكُّل على الله، =

ولو تأمَّلْنا التشبيه جيِّدًا، فالطُّيور لا تجلس في العُشِّ وهي تتفاءل أن يأتيها رزقها إلى عُشِّها، إنَّما تقوم وتبحث عن الطَّعام، فتغدو من الصَّباح الباكر وهي جوعى، تبحث عن الرِّزق، فيهيِّئه الله لها، ولا تعود إلا وهي مليئة البطن.

لذلك لما أراد ﷺ الهجرة من مكة إلى المدينة، جسَّد هذه المعاني واضحة في تصرُّفاته، فقد خطَّط بشكل أجود للهجرة، فذهب إلى دار أبي بكر الصديق ﷺ في الظَّهيرة بعيدًا عن أعين المشركين، ثم اتَّفق معه على تجهيز راحلتين، واستأجر دليلًا، ثم سلك طريقًا غير معتادة بعد أن توارى في الغار ثلاثة أيام؛ ليخِفَّ عنه الطلب، وترك ابن عمِّه عليًّا ﷺ يبيت في فراشه، مع أنه ﷺ كان سيِّد المتفائلين، وقائد المتوكِّلين، وإمام المؤمنين، إلا أنَّه أخذ بالأسباب الظاهرة التي توصل إلى النَّجاة مع اعتماده على ربِّ الأرباب ﷻ.

= برقم: /٢٣٤٤/، وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب التوكل واليقين برقم: /٤١٦٤/ كلاهما عن عمر بن الخطاب ﷺ.

أما الذين يحلمون بغَدٍ مشرِق دون عمل وتضحية، ويتفاءلون بالرِّزق دون مشقَّة وعناء، ويأملون بالنَّصر دون جهاد وكِفاح، فإنَّما يبنون أحلامهم وأمانيَّهم على معجزة تحصل، ولن تحصل؛ لأنَّ الله ﷻ قد جعل لكل شيء سببًا مع أنه خالق الأسباب ونتائجها، وقد خاطب البشرية فقال: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، هذا وحياةُ النبيِّ ﷺ وسيرتُه تُثبت لنا أنَّه لا بدَّ من العمل بالمتاح والمستطاع مع التوكُّل على الله تعالى، يقول سيِّدنا **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي جَنَازَةٍ فَأَخَذَ شَيْئًا فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الأَرْضَ، فَقَالَ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ العَمَلَ؟ قَالَ: اعْمَلُوا **فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ

وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠]»[١].

ولا بدَّ من صدق التوكل على الله تعالى، **يقول ابن القيم** رحمه الله: التَّوَكُّلُ نِصْفُ الدِّينِ، وَالنِّصْفُ الثَّانِي الْإِنَابَةُ، فَإِنَّ الدِّينَ اسْتِعَانَةٌ وَعِبَادَةٌ، فَالتَّوَكُّلُ هُوَ الِاسْتِعَانَةُ وَالْإِنَابَةُ هِيَ الْعِبَادَةُ[٢].

٢ـ التَّفاؤل يكون بالممكنات العقلية والشرعية: أما مَن تفاءل بالمستحيلات فهو واهم، فلو تفاءل الأطباء بالتوصُّل إلى خلْق إنسان من صنع البشر فهم يحلمون في سراب، وإذا تفاءل رجل أن يصبح نبيًّا فهو مختلٌّ في تفكيره أو تفاءل أحد الأدباء أو الفلاسفة أو المفكِّرين أن يأتي بمثل هذا القرآن الكريم فهو يخْدع نفسه، فالتَّفاؤل لا يكون إلا فيما هو من مقدور البشر، وضمن سُنن الله الكونيَّة، لا فيما يَعْجزون عنه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة والليل إذا يغشى باب فسنيسره للعسرى، برقم: /٤٩٤٩/، ومسلم في صحيحه، كتاب القدَر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، برقم: /٢٦٤٧/.

(٢) مدارج السالكين: ١١٤/٢.

من أهم فوائد التَّفاؤل

أولًا: يقوِّي العزيمة ويبعث على الجِدِّ والنَّشاط:

وهذا ما نراه جليًّا وواضحًا في سلوكه ﷺ وتصرفاته قبل الغزوات، يقول أميرُ المؤمنين **عمرُ بنُ الخطَّاب** رضي الله عنه: «إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ، بِالْأَمْسِ، يَقُولُ: هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ قَالَ عُمَرُ: فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا أَخْطَئُوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ»(١).

وحينما التقى الجمعان يوم بدر، أراد ﷺ منذ البداية أنْ يبثَّ الأمل في نفوس أصحابه، فبشَّرهم وذكَّرهم بالجنَّة التي هي مستقرُّ الشهداء فقال: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، قَالَ **عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ** الْأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: بَخٍ بَخٍ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟ قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: فَإِنَّكَ مِنْ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، برقم: /٢٨٧٣/.

أَهْلِهَا، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ»[1].

ثانيًا: التَّفاؤل يُذلِّل العقَبات والمصاعب: فمَن تفاءل بالخير وسعى لتحقيق أهدافه وجَدَ مرادَه ولو بعد حين.

فلولا التَّفاؤل لما توصل الإنسان إلى صنع الطائرات، ولولاه ما اخترعوا الهواتف الذكية، ولولاه ما توصلوا إلى هذا المستوى من التطور التقني، فكل هذه الآلات الحديثة كانت حلُمًا يدور في أذهان مَن ابتكرها، سعى وضحى حتى صار الصعب سهلًا، والحلم حقيقة.

ـ **وإبّان الدَّولة الأمويَّة** كان هناك ثلاثة من الشَّباب يعملون حَمَّارين[2]، وفي ليلة من الليالي تناولوا طعام العَشاء وجلسوا يتسامرون، فقال أحدهم: ـ واسمه **محمد بن أبي**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، برقم: /١٩٠١/ عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) يحملون البضائع للناس من الأسواق إلى البيوت على الحمير.

عامر ـ هَبَا أنَّي خليفة، فماذا تتمنَّيان؟

قالا: يا محمد، إنَّ هذا غيرُ ممكن.

فقال: هَبَا جدلًا أنَّي خليفة.

فقال أحدهما: هذا مُحال.

وقال الآخر: يا محمد أنت تَصْلُح حَمَّارًا، أمَّا الخليفة فيختلف عنك كثيرًا.

لكنَّ محمَّدًا هام في أحلام اليقظة، فرأى نفسه على عرش الخلافة، وقال لأحدهما: ماذا تتمنى أيُّها الرجل؟

قال: أريد حدائق غنّاء.

قال محمد: وماذا بعد؟

قال: إسطبلًا من الخيل.

وماذا بعد؟

قال: أريد مائة جارية.

وماذا بعد؟

قال: مائة ألف دينار ذهبًا.

ثم ماذا بعد؟

قال: يكفي ذلك يا أمير المؤمنين.

كل ذلك و**محمد** يسبَح في خياله الطَّموح ويرى نفسه على عرش الخلافة، ويسمع نفسه وهو يعطي العطاءات الكبيرة ويشعر بمشاعر السعادة وهو ينيل بعد أن كان يأخذ، وهو ينفق بعد أن كان يطلب، ويأمر بعد أن كان ينفّذ.

وبينما هو كذلك التفت إلى صاحبه الآخر وقال: ماذا تريد أيها الرجل؟

فقال: يا **محمد**، إنما أنت حَمَّار، والحَمَّار لا يَصْلُح أن يكون خليفة.

فقال **محمد**: يا أخي، هبْ جدلًا أنني الخليفة، ماذا تتمنى؟

فقال الرجل: أن تقع السماء على الأرض أيسر من وصولك إلى الخلافة.

فقال **محمد**: دعني من هذا كله ماذا تتمنى؟

فقال الرجل: اسمع يا محمد، إذا أصبحت خليفة فاجعلني على حِمار، ووجِّهْ وجهي إلى الوراء، ومُرْ مناديًا يمشي معي في أزقَّة المدينة وينادي: أيها الناس! أيها الناس! هذا دجَّال محتال، مَن يمشي معه أو يحدِّثه أودعته السجن.

وانتهى الحوار ونام الجميع.

ومع بزوغ الفجر استيقظ محمد وصلى صلاة الفجر وجلس يفكر: هل صحيح أن الذي يعمل حمّارًا لن يصل إلى الخلافة؟

إنَّ الشخص الذي يستمر دون تطوير لمهاراته، بلا تحديد لأهدافه وطموحاته، لن يتقدم، بل يتقادم.

فكّر محمد كثيرًا، ما الخطوة الأولى للوصول إلى الهدف المنشود؟ ثم توصَّل إلى قناعة رائعة جدًّا، وهي تحديد هذه الخطوة: حيث قرر أنه يجب بيع الحِمار.

فباعه، وانطلق بكل إصرار وجِدٍّ يبحث عن الطريق الموصل إلى الهدف، ثم قرَّر أن يعمل في الشرطة بكل نشاط وبَذَل الجُهْدَ الذي كان يبذله وهو حَمَّار في عمله الجديد.

ـ أُعْجِب به الرؤساء والزملاء والناس، وترقَّى في عمله حتى أصبح رئيسًا لقسم الشرطة في الدولة الأموية بالأندلس.

ثم شاء الله أنْ **يموت الخليفة الأمويُّ**، ويتولَّى الخلافة بعده ابنه هشام المؤيَّد بالله، وعمره في ذلك الوقت **عشر سنوات** وهل يمكن لهذا الطفل الصغير إدارة شؤون الدولة؟

أجمعوا على أن يجعلوا عليه **وصيًّا**، ولكنهم خافوا أن يكون الوصيُّ من بني أمية فيأخذ الملك منه، فقرَّروا أن يعيِّنوا مجموعة من الأوصياء من غير بني أميَّة، ووقع الاختيار على محمد بن أبي عامر(صاحبنا الحَمَّار) وابن أبي غالب، والمصْحفيّ، ثم استقرَّ الأمر بعد ذلك أن يكون **محمد بن أبي عامر هو الوصيّ الوحيد**، فاتخذ مجموعة من القرارات، حيث قرَّر أنَّ الخليفة لا يخرج إلا بإذنه، ونقل شؤون الحكم إلى قصره، وجيَّشَ الجيوش وفتحَ الأمصار فاتَّسعتْ دولة بني أمية في عهده، وحقَّق من الانتصارات ما لم يحقِّقه خُلفاء بني أميَّة في الأندلس، حتى اعتبر بعض المؤرِّخين أنَّ تلك الفترةَ فترةُ انقطاع في الدولة الأمويَّة، وسُمِّيت **بالدولة العامريَّة**.

وهكذا صنع الحاجب المنصور **محمد بن أبي عامر** واستطاع بتوكله على الله واستغلاله القُدرات الكامنة التي منحه إياها أن يحقِّق أهدافه.

وذات يوم، وبعد ثلاثين سنة من بيع الحِمار والحاجبُ المنصور يعتلي عرش الخلافة، وحوله الفقهاء والأمراء والعلماء، تذكَّر صاحبَيْه الحَمّارَيْن، فأرسل أحد الجُند في طلبهما، فوجد الرجلين على الصِّفة نفسها، وفي المكان نفسه، العمل هو هو، والمَقر هو هو، والمهارات هي هي بالعقلية نفسها، لم يتغيَّر فيهما شيءٌ منذ ثلاثين سنة.

فلما صارا بين يدي الخليفة قال لهما: أعرفتماني؟ قالا: نعم يا أمير المؤمنين، ولكن نخشى أنك لم تعرفنا! قال: بل عرفتكما، ثمَّ نظر إلى الحاشية وقال: كنتُ أنا وهذان الرجلان معًا قبل ثلاثين سنة، وكنا نعمل حَمّارين وقصّ قصتهم، ثم أعطى الرجل الأوَّل ما تمنى، وأمر أن يُفعل بالآخر ما أراد، فقال: افعلوا به ما تمنَّى حتى يعلم أنَّ الله على كل شيء قدير[1].

(١) القوة الهادئة، لمحمد بن عبد الله الفريج: ص ٣١٣ ـ ٣١٩ بتصرُّف.

ثالثًا: التَّفاؤل يُغيِّر حال الإنسان: فالمريض المتفائل بالشفاء يتفاعل مع الدواء وينتفع منه أكثر من المريض البائس اليائس، والطَّالب المتفائل بالفهم والنَّجاح يفهم دروسه أكثر من الطالب المتشائم، والتاجر المتفائل بالربح يقوم من فراشه عندالصَّباح الباكر بعكس التاجر الـمُحْبَط، والعامل المتفائل يُنتج أضعاف ما يُنتجه العامل المُتملْمِل، والمجاهد الذي يرى النصر قاب قوسين أو أدنى يندفع ويقاتل أكثر من الذي دبَّ الوهْن إلى قلبه.

إنَّه التَّفاؤل، يبُثُّ في الإنسان روحَ الأمل، فيندفع نحو المزيد من العمل.

ومن هنا نعلم خطر الحروب النَّفسيَّة على الشعوب فالأمَّة إن ضَعُفتْ من الدَّاخل، ودبَّ فيها الوَهْن استسلمت لعدوِّها، لذلك أرشدنا مولانا فقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ

مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩ ـ ١٤١]، وقال: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

ولما انتشرت إشاعة مقتل النَّبيِّ ﷺ في **معركة أحد** وزعْزعت الجيش، وانقلبت النتيجة، مرَّ **أنسُ بنُ النَّضْر** رضي الله عنه ببعض المهاجرين والأنصار، وَقَدْ أَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ: مَا يُجْلِسُكُمْ؟ قَالُوا: قُتِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَمَاذَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ؟ قُومُوا فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقَوْمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ[1].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، قَالَ: اللَّهُمَّ

(١) سيرة ابن هشام: ٨٣/٢.

إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاءِ ـ يَعْنِي أَصْحَابَهُ ـ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاءِ ـ يَعْنِي المُشْرِكِينَ ـ ثُمَّ تَقَدَّمَ، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ﷺ، فَقَالَ: يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ، الجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ، قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ المُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ قَالَ أَنَسٌ: كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]»[1].

ـ وأما **يوم حُنين** فإنّ النّبي ﷺ نظر إلى أصحابه وهم منصرفون عن المعركة مدبرون عن القتال فناداهم وأعاد لهم الأمل، يقول **العبَّاس بن عبد المطلب** ﷺ: «شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بنُ الْحَارِثِ بنِ عَبْدِ

(١) خرَّجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب قول الله تعالى: من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، برقم: /٢٨٠٥/.

الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بنُ نُفَاثَةَ الْجُذَامِيُّ، فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرْكِضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ.

قَالَ عَبَّاسٌ رضي الله عنه: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَقَالَ رَسُولُ ﷺ: أَيْ عَبَّاسُ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ.

فَقَالَ عَبَّاسٌ: ـ وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا ـ فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ قَالَ: فَوَاللهِ، لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ، يَا لَبَّيْكَ، قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ، وَالدَّعْوَةُ فِي الْأَنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ فَقَالُوا: يَا بَنِي الْحَارِثِ بنِ الْخَزْرَجِ، يَا بَنِي الْحَارِثِ بنِ الْخَزْرَجِ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ـ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلى قِتَالِهِمْ ـ فَقَالَ ﷺ: هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ.

قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، قَالَ: فَوَاللهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا[1] وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا»[2].

وبالجملة: فالتفاؤل يغيُّر الله به حال الإنسان من الخسارة إلى الربح، ومن الابتلاء إلى التمكين، قال ابن القيم: ومن كمال إحسان الرب تعالى أن يذيق عبده مرارة الكسر قبل حلاوة الجبر، ويعرفه قدر نعمته عليه، بأن يبتليه بضدها، كما أنه سبحانه لما أراد أن يكمل لآدم نعيم الجنة أذاقه مرارة الخروج منها، فما منع عبده المؤمن إلا ليعطيه، وما ابتلاه إلا ليعافيه، وما نغَّص عليه الدنيا إلا ليرغبه في الآخرة، وما ابتلاه بجفاء الناس إلا ليرده إليه[3].

---

(١) كَلَّ السَّيف يَكِلُّ فهو كليل: إذا لم يقطع. النهاية في غريب الحديث: ١٩٨/٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب في غزوة حنين برقم: /١٧٧٥/.

(٣) ينظر مختصر الصواعق المرسلة: ص٧٤٤.

رابعًا: التَّفاؤل سبب لصلاح الأمَّة: وكان من وصاياه ﷺ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ يقول: «بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا»(١).

فالتَّرغيب والبشارة والتَّفاؤل تجلب قلوب البشر وتستهويهم، وأمَّا الفَظاظة والغلاظة والتعسير فتنفِّر القلوب والأسماع.

ـ ونُذَكِّر بقصَّة الرَّجل الذي قتل تسعةً وتسعين نفسًا وسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على راهبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: «إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ـ لقد ازداد إجرامًا حينما عَسّر وشَدَّد وسَدَّ عليه العابدُ بابَ التَّوبة ـ ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟»(٢)، ثمَّ وجَّهه أن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسِيَر، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، برقم: /١٧٣٢/ عن أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) تقدَّم تخريجه بتمامه: ص ٢٢.

يذهب إلى أرض كذا، فإنَّ فيها مَن يعبد الله، فاعبد معهم، فتاب وأناب ونفَّذ ما طلبه منه.

لقد ضحَّى ببلده وهاجر منها، وقصد بلدًا آخر ليعبد الله فيه ويُصلِح حاله، كل ذلك بعد ما فتح له ذلك العالِمُ باب الأمل.

خامسًا: التَّفاؤل يبعث الطُّمأنينةَ في القلب:

فيعيش الإنسان براحة نفسية، وينعكس هذا على قوة الإنسان، ولْنستمع لهذه الآيات الكريمة: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣ ـ ١٧٤].

فمَن سلَّم أمره لله، ووثق بما عنده ﷻ سكن قلبُهُ، لذلك يقول ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ

أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[1].

سادسًا: التأثير الإيجابي على صحة الإنسان:

فالتَّفاؤل يهزم الأمراض، بل هو وقاية منها، بعكس اليأس **والإحباط والتَّشاؤم**، فإنَّ جسم الإنسان المصاب بها مَرْتع للأمراض والأسقام، وخاصَّة المرأة، فقد نصَحَتْ دراسةٌ أميركيةٌ حديثةٌ النِّساءَ بالتَّفاؤل والنظر إلى الجانب المشرق من الحياة؛ لأنَّ ذلك أفضل لصحتهنَّ، وقد يساعد في حمايتهنَّ من أمراض، كالسَّرَطان والقلب.

وأجرى الدراسةَ باحثون بكلية «هارفارد» للصحة العامة ونشرت الخميس ٢٠١٦/١٢/٨م في الدورية الأميركية لعلم الأوبئة.

وشملت الدراسة أكثر من ٧٠ ألف سيدة، تتراوح أعمارهن بين ٥٨ و٨٣ عامًا، على مدى ثماني سنوات لاكتشاف تأثير التَّفاؤل على صحتهنَّ.

---

(١) خرَّجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، برقم /٢٩٩٩/ عن صهيب رضي الله عنه.

ووجد الباحثون أنَّ المتفائلات كنَّ أقلّ عُرضة للإصابة بأمراض السَّرطان والقلب والأمراض الرئوية والسَّكتة الدِّماغيَّة عند بلوغهنَّ سِنَّ التَّقاعد.

كما وجدوا أيضًا أنَّ حالات الوفاة بسبب الأمراض انخفضت بشكل ملحوظ بين المتفائلات، حيث انخفضت وفاتهن بسبب أمراض القلب والسكتة الدماغية بنسبة ٣٩٪، والسرطان بنسبة ١٦٪ وأمراض الجهاز التنفسي بنسبة ٣٨٪، والوفاة بسبب العدوى بنسبة ٥٢٪ طوال فترة الدراسة، وهذا ما يتناوله الطب السيكوسوماتي (النَّفْسي الجسمي).

وعن السبب في ذلك، كشف الباحثون أن الحالة الذهنية الإيجابية لها تأثير كبير على الصحة، وأن تشجيع الناس على تخيُّل مستقبل مشرق قد يكون علاجًا جيدًا لتحسين الصِّحَّة العامَّة.

وأضافوا أنَّ التَّفاؤل قد يكون له تأثير بيولوجي ونفسي على الجسم، حيث إنَّ النَّظرة الإيجابية ارتبطت بانخفاض الالتهابات وقوَّة صحَّة القلب[١].

---

(١) http://www.aljazeera.net

سابعًا: حصول البركة: وقد علَّمنا رسول الله ﷺ أن نلتمس البركة من الله تعالى، وأن نسأله إيَّاها، وكان ﷺ إذا رأى باكورة الثَّمر، دعا الله تعالى وسأله البركةَ؛ **فعن أبي هريرة** رضي الله عنه «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُؤْتَى بِأَوَّلِ الثَّمَرِ فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَفِي ثِمَارِنَا، وَفِي مُدِّنَا وَفِي صَاعِنَا بَرَكَةً مَعَ بَرَكَةٍ، ثُمَّ يُعْطِيهِ أَصْغَرَ مَنْ يَحْضُرُهُ مِنَ الْوِلْدَانِ»(١).

فإذا عمّت البركة حياة العبد زادته أملًا وتفاؤلًا ورضًا، فهي خير إلهيٌّ ثابت، تلازمه زيادةٌ لا تُحَسُّ مواردُها، وسعادةٌ لا تُدرَك موادُّها، ومنفعةٌ ونماءٌ وهناءٌ وحِفظٌ من الضَّرر والنَّقْص والشَّقاء(٢).

يقول جَابِرُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه: «لَمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ رَأَيْتُ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل المدينة، برقم: /١٣٧٣/.

(٢) البركة في القرآن الكريم: ص ١٤.

بِالنَّبِيِّ ﷺ خَمَصًا[1] شَدِيدًا، فَانْكَفَأْتُ إِلى امْرَأَتِي، فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا.

فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرَابًا[2] فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ[3] فَذَبَحْتُهَا، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ، فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِي وَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا ـ القِدْر ـ.

ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: لا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِمَنْ مَعَهُ.

فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا وَطَحَنَّا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ.

فَصَاحَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: **يَا أَهْلَ الخَنْدَقِ**، إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا ـ طعامًا ـ فَحَيَّ هَلًا بِكُمْ.

---

(١) الخَمَص: الجوع. انظر النهاية في غريب الحديث: ٨٠/٢، وعمدة القاري: ١٨١/١٧.

(٢) الجِراب: وعاء من جلد. انظر شرح النووي على مسلم: ١٠٢/١٢.

(٣) الدَّاجِن: من أولاد الغنم، تربَّى في البيوت. انظر عمدة القاري: ١٨١/١٧.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ، وَلا تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ.

فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقَالَتْ: بِكَ وَبِكَ، فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ.

فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِينًا فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعِي وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلا تُنْزِلُوهَا، وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ»[1].

هذا وقد مرَّت معنا قصَّة الصَّحابي الجليل **الزُّبير بن العوَّام** رضي الله عنه، فقد كان متفائلًا قبل وفاته، فبارك الله في ماله حتى قُضي ما عليه من ديون، ونالَ الوَرَثةُ حظًّا وافرًا منه[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، برقم: /٤١٠٢/، ومسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار مَن يثق برضاه بذلك، برقم: /٢٠٣٩/ رضي الله عنه.

(٢) مرت القصة: ص٥٠.

كيف أكون متفائلاً؟

(أسباب استدعاء التَّفاؤل)

أولًا: التعرُّف إلى الله والرِّضا بقضائه وقدَره والثِّقة به سبحانه وتعالى:

فهو جلَّ ذكره مالك الملك، إذا أراد شيئًا فإنَّما يقول له كن فيكون، والإنسان بطبعه يميل إلى اليأس عند الشدائد: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت: ٤٩]، لكنَّ المؤمن بالله ﷻ وبقدرته وعظمته يلتجئ إليه وقت المحن.

يقول **جَابِرُ بنُ عَبْدِ اللهِ** رضي الله عنه: «غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ غَزْوَةً قِبَلَ نَجْدٍ، فَأَدْرَكَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ[1]، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَعَلَّقَ سَيْفَهُ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، قَالَ: وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْوَادِي يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ رَجُلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَأَخَذَ

(١) شجر له شوك. المصباح المنير: ٤١٥/٢.

السَّيْفَ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا وَالسَّيْفُ صَلْتًا فِي يَدِهِ فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: قُلْتُ: اللهُ، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: قُلْتُ: اللهُ، قَالَ: فَشَامَ السَّيْفَ[1]، فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ، ثُمَّ لَمْ يَعْرِضْ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ»[2].

إنه الإيمان بالله تعالى، إذا غُرس في النفوس أثمر ثباتًا وقوة وعطاءً، يقول ﷺ لابن عمِّه **عبد الله بن عبَّاس** رضي الله عنهما: «يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ

---

(١) شام السيف: إذا سله وجرَّده، أو ردَّه في غمده، فهو من الأضداد. تهذيب اللغة: ٢٩٨/١١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة بني المصطلق، برقم: /٤١٣٩/، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب توكُّله على الله تعالى، برقم /٨٤٣/.

لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»[1].

ويعلِّق العلَّامة عبد الرحمن حبنَّكة ﷺ على هذا الحديث بقوله: ما من شيء في هذا الكون يحدث إلا بعلم الله، وبإرادته، وقدرته، والنَّفع والضُّرُّ كلُّهما بيد الله عزَّ وجلَّ، لا ينفع أحد بشيء لم يقضه الله ويقدِّره أو لم يأذن به، ولا يضرُّ أحد بشيء لم يقضه الله ويقدِّره، أو لم يأذن به[2].

كُنْ مُوقِنًا بالله إنَّ الأمْرَ لَهْ ... الله ما أحْلى اليَقينَ وأجْمَلَهْ
فَبهِ يَعيشُ المرءُ أسْعدَ عِيشةٍ ... مُتحدِّيًا كلَّ الهُمومِ المُعْضِلَةْ
لَو أنَّ أجْرامَ السَّماءِ تَفجَّرتْ ... والأرضَ دُكَّتْ لمْ تُحرِّكْ أُنْمُلَةْ
لمَ لا ورَبُّ العَرشِ جلَّ جَلالهُ ... بيَديهِ يَمْلكُ وحْدَه مُسْتَقْبَلَهْ

ويقول **الإمام الشافعيُّ** رحمه الله:

دَعِ الأيَّامَ تفْعلُ ما تشاءُ ... وطِبْ نفْسًا إذا حكمَ القضاءُ

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، برقم: /٢٥١٦/ عن عبد الله بن عبَّاس ﷺ.

(٢) روائع من أقوال الرسول ﷺ: ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

ولا تجْزَعْ لحادثَةِ اللَّيالي فمَا لحوادِثِ الدُّنيا بقاءُ[1]

ثانيًا: نبذ الأوهام والخُرافات والأساطير التي تبعث على التشاؤم:

فقد بُعث ﷺ ليغرس في الأمَّة أنَّه لا إله إلا الله، وأنَّه لا نافع ولا ضارَّ ولا مُعطي ولا مانع ولا خافض ولا رافع إلا الله، يقول ﷺ: «لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ، وَلا هَامَةَ وَلا صَفَرَ»[2].

فليس للجنِّ ولا للشياطين سلطان على المؤمنين، كما قال ﷻ عن الشيطان: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩ ـ ١٠٠].

أمَّا الاعتقاد الفاسد بتسلُّط الجنِّ دون أمر الله وما أشبه ذلك، فإنَّه يجعل الإنسان في سجن الأوهام والظُّنون.

---

(١) ديوان الشافعي: ص١٠، وجواهر الأدب: ٤٢٦/٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الجُذام، برقم: /٥٧٠٧/، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طِيَرَة، برقم /٢٢٢١/ كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يقول محمد صادق **الرافعي** ﷺ: وما هذه الشياطين إلا كالذُّباب والبعوض والهوامّ، ولا تحوم إلا على رائحة تَجْذبها، فإن لم تجد في النَّفس ما تجتمع عليه، تفرَّقت ولم تجتمع، وإذا ألمَّت الواحدةُ منها بعد الواحدة لم تثبت، فلو أنَّنا طردنا من أنفسنا الكلمات التي أفسدت علينا رؤية الدنيا كما خُلقتْ، لكان للدُّنيا في أنفسنا شكل آخر أحسن وأجمل من شكلها، ولكانت لنا أعمال أخرى أحسن وأطهر من أعمالنا[1].

ثالثًا: كثرة ذكر الله تعالى: فبذكر الله تطمئن القلوب: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، فإذا اطمأنَّ القلب وسكن استطاع الإنسان أن يتطلَّع إلى المستقبل بنظرة إيجابية.

ولا غرو أنَّ الشيطان يوسوس للمؤمن ويُخوِّفه: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وإنما العلاج الأنفع للتغلُّب على الشيطان ووساوسه كثرةُ ذكر الله، فإذا ذكر المؤمن ربه ولَّى الشيطان

---

(١) انظر وحي القلم: ص٣١٦.

عنه، يقول **عبد الله بن عباس** ﷺ: «الوسواس: إذا وُلِدَ خَنَسَه الشيطانُ، فإذا ذُكِرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ذهبَ، وإذا لم يَذكُرِ اللهَ ثبت على قلبه»(١).

وجاء رجلٌ إلى **أبي الدرداء** ﷺ فقال: «يا أبا الدَّرْداء قد احترَقَ بيتُكَ، فقال: ما احترق، لم يكنِ اللهُ ﷻ ليفْعلَ ذلك بكلمات سمعتهنَّ من رسول الله ﷺ، مَن قالها أوَّل نهاره لم تصبْه مصيبةٌ حتى يُمسي، ومَنْ قالها آخرَ النهار لم تصبْه مصيبةٌ حتى يُصبحَ: اللّٰهُمَّ أنتَ رَبي لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وأنْتَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، ما شاء الله كان، وما لم يَشأْ لَمْ يَكُنْ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ باللَّهِ العَلِيّ العَظِيمِ، أعْلَمُ أنَّ اللَّهَ عَلى كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ عِلْمًا اللّٰهُمَّ إِني أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرّ كُلّ دَابَّةٍ أنْتَ آخِذٌ بِناصِيَتها، إنَّ رَبِّي على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»(٢).

---

(١) خرجه البخاري في صحيحه معلَّقا، كتاب التفسير، سورة قل أعوذ برب الناس، ١٨١/٦.

(٢) ذكره الإمام النووي ﷺ في كتاب الأذكار: ٨٤/١، عن طلق بن حبيب ﷺ ونسبه إلى كتاب ابن السنِّي.

ولذلك فإن مولانا تعالى قد طلب منا أن نذكره كثيرًا فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤١]، وقال: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، فلم ينوِّه بالكثرة إلا عند ذكره تعالى، وفي الحديث عنه ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى»[1].

رابعًا: تلاوة القرآن الكريم: فقد أنزل الله تعالى كتابه لهداية البشريَّة وإرشادهم إلى ما فيه سعادتهم في الدَّارين: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا﴾ [الإسراء: ٩].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات، برقم: /٣٣٧٧/ عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

وكتاب الله جلَّ ذكرُه مليء بالمواعظ والإرشادات والقصص التي تبعث على التَّفاؤل.

فالمجاهد يمرُّ على الآيات التي تنصُّ على نصر الله وتأييده للحق وأهله فيمتلئ قلبه بالتَّفاؤل.

والمُبتلى يقرأ الآيات التي تتحدَّث عن أصحاب البلايا وكيف فرَّج الله عنهم وأثابهم؛ فيزداد صبرًا وتفاؤلًا.

والدَّاعية إلى الله يتلو الآيات التي فيها تثبيت لقلبه من قصص وأخبار الرسل ﷺ والدعاة؛ فيتفاءل خيرًا.

والمُذْنب والمقصِّر تمرُّ عليه الآيات التي تتضمَّن سعة رحمة الله وعفوه؛ فيستبشر خيرًا.

والطَّائع يقرأ الآيات التي يُذكَر فيها ما أعدَّ الله لأهل الطَّاعة من سعادة في الدَّارين؛ فيزداد إيمانًا ويقينًا وتفاؤلًا.

وهكذا، فكلُّ إنسان يجد ذكْره في القرآن لا محالة؛ فيزيده القرآن إيمانًا وتفاؤلًا: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ

يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤ ـ ١٢٥].

خامسًا: الكلمة الطيِّبة: فالكلمة الطيبة تُعطي أمَلًا وتفاؤلًا، لذلك قال ﷺ: «لَا طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ»(١).

وفي الحديث عنه ﷺ: «فِي ابْنِ آدَمَ سِتُون وثلاثُمَائةِ سُلامَى ـ أَو عَظم أَو مَفصِل ـ عَلَى كُل واحدٍ فِي كُل يَومٍ صَدقةٍ، كُل كَلمةٍ طَيبةٍ صَدقةٍ، وعَونُ الرَّجُل أَخاهُ صَدقةٌ، والشُربَةُ مِن الْمَاءِ يَسقِيها صدقةٌ، وإِماطَة الأذى عَن الطَريقِ صَدقة»(٢).

ومن هنا نجد **أنَّ العرب** كانت تطلق بعض الكلمات على عكس معناها من باب التَّفاؤل، فتقول عن الصحراء أو الفلاة: مفازة، من الفوز، تفاؤلًا به، مع أنَّ فيها الهلاك

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الفأل، برقم: /٥٧٥٥/ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: ٢١٧/١ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ويقولون عن المريض أو اللَّديغ: سليم، تفاؤلًا بشفائه وسلامته، ويقولون عن الأعمى بصيرًا، وهكذا[1].

وقد ورد أنَّ الرسول ﷺ كان **يُبدِّل بعض الأسماء** التي فيها صعوبة وتشاؤم، إلى أسماء فيها سهولة وتفاؤل، روى **سعيد بنُ المسيِّب** رحمه الله عن أبيه، أَنَّ أَبَاهُ جَاءَ إِلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: حَزْنٌ، قَالَ: أَنْتَ سَهْلٌ، قَالَ: لا أُغَيِّرُ اسْمًا سَمَّانِيهِ أَبِي، قَالَ ابنُ المُسَيِّبِ: فَمَا زَالَتِ الحُزُونَةُ فِينَا بَعْدُ»[2].

وعنِ **ابنِ عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ غَيَّرَ اسْمَ عَاصِيَةَ وَقَالَ: «أَنْتِ جَمِيلَةُ»[3].

وكذلك كان ﷺ يختار الأسماء الحسنة تفاؤلًا بها.

سادسًا: التأمُّل في النِّعم التي أسداها المنعِم جلَّ في علاه: فنِعْمتِ النِّعَم نِعَمُ الله الكثيرة والعديدة: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ

---

(١) لسان العرب: ٢٩٢/١٢، مادة: سلم.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب اسم الحزن، برقم: /٦١٩٠/.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، برقم: /٢١٣٩/.

ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، فمَن نظر إلى النِعَم حَمِدَ المُنعِم وتفاءل خيرًا، أمَّا مَن نظر إلى ما سُلِب منه فإنه يُشقِي نفسه ويُتعِبها: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ـ وقد فَقَدَ حبرُ الأمَّة **عبد الله بن عبَّاس** ﷺ بصره آخر حياته، فقال:

إنْ يَأْخُذِ اللهُ مِنْ عَيْنَيَّ نُورَهُما

ففي لِسَاني وسَمْعي منهما نورُ

قَلبي ذَكـيٌّ وَعقْلي غيرُ ذي دَخَلٍ

وفي فَمي صَارِمٌ كالسَّيفِ مأْثورُ[1]

ـ وسافر **عُرْوة بنُ الزُّبير** ﷺ من المدينة إلى دمشق، وفي الطَّريق بوادي القرى أصيبتْ رجلُه بأَكَلَةٍ، ولم يَكَد يَصِل

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ٣/٩٣٨.

دمشق حتى كانت نصفُ ساقه قد تَلِفتْ، فدخل على **الخليفة الوليد بن عبدالملك**، فبادر الوليد باستدعاء الأطبَّاء العارفين بالأمراض وطرق علاجها، فأجمعوا على أنَّ العلاج الوحيد هو قطعها، قبل أن يَسريَ المرض إلى الرِّجل كلِّها حتى الوَرِك، وربما أكلتِ الجسمَ كلَّه، فوافق عروةُ بعد لأْيٍ[1] على أن تُنْشَر رِجله، وعَرَض عليه الأطبَّاء إسقَاءَه مُرْقِدًا[2]؛ حتى يغيب عن وعْيه فلا يشعر بالألم، فرفض عُرْوة ذلك بشدَّة قائلًا: لا والله، ما كنتُ أظنُّ أحدًا يشرب شرابًا، أو يأكل شيئًا يُذهِب عقلَه، ولكن إن كنتم لا بُدَّ فاعلين، فافعلوا ذلك وأنا في الصلاة؛ فإنِّي لا أحسُّ بذلك ولا أشعر به، فقطعوا رجله من فوق الأكَلَة من المكان الحي؛ احتياطًا ألَّا يبقى منها شيء، وهو قائم يصلي، فما تضوَّر ولا اخْتَلج، فلمَّا انصرف من الصلاة عزَّاه الوليد في رجله، فقال: اللَّهُمَّ لك الحمد، كان لي أطرافٌ أربعة فأخذتَ واحدًا، ولئن كنتَ أخذتَ فقد أبقيتَ، وإن كنتَ قد

---

(١) المقصود: بعْدَ مشقَّة وَجهْدٍ وإبْطَاء. انظر النهاية في غريب الحديث: ٤/٢٢١.

(٢) المرقد: دواء يُرقِد مَن يشربه. مختار الصحاح: ١/١٢٦.

ابتليتَ فلطالما عافيتَ، فلك الحمد على ما أخذتَ وعلى ما عافيتَ، **اللَّهُمَّ إنِّي لم أمشِ بها إلى سُوء قطُّ.**

وكان قد صحب بعضَ بنيه، ومنهم ابنه **محمد** الذي هو أحبُّ أولاده إليه، فدخل دارَ الدَّواب فرفستْه فرسٌ فمات فجاء المُعَزُّون إلى أبيه، فقال: الحمد لله، كانوا سبعةً فأخذتَ منهم واحدًا، وأبقيتَ ستَّة، فلئن كنتَ قد ابتليتَ فلطالما عافيتَ، ولئن كنت قد أخذتَ، فلطالما أعطيت، فلمَّا قضى حاجته من دمشق رجع إلى المدينة، فما سُمع يَذكُر رِجْله ولا ولده، ولا شكا ذلك إلى أحد، حتى دخل وادي القرى الذي أصابته فيه الأكَلَة، وهناك قال: لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا، فلما دخل المدينة أتاه بعض الناس يسلِّمون عليه ويُعَزُّونه في رِجْله وولده[1].

وقال ابن خَلِّكان:

وقدم تلك السَّنة **قومٌ من بني عبْس،** فيهم رجل ضرير فسأله **الوليد** عن عينيه، فقال: يا أمير المؤمنين، بتُّ ليلة في

(١) وفيات الأعيان: ٣/ ٢٥٥، والبداية والنهاية: ٩/ ١٢٠ – ١٢١.

بطن وادٍ ولا أعلم عبسيًّا يزيد مالُه على مالي، فطرَقَنا سيلٌ فذهب بما كان لي من أهل وولد ومال، غيرَ بعيرٍ وصبي مولود، وكان البعير صعبًا فنَدَّ[1]، فوضعتُ الصَّبي واتَّبعتُ البعير، فلم أجاوز إلا قليلًا حتى سمعت صيحة ابني ورأسُه في فم الذئب وهو يأكله، فلحقت البعيرَ لأحبسه، فنفحني برجله على وجهي، فحطمه وذهب بعينيَّ، فأصبحتُ لا مال لي، ولا أهل، ولا ولد، ولا بعير، فقال الوليد: انطلقوا به إلى عروة؛ ليعلم أنَّ في الناس مَن هو أعظم منه بلاء.

وكان أحسن مَن عزَّاه **إبراهيم بن محمد** بن طلحة، فقال: والله ما بك حاجةٌ إلى المشي، ولا أَرَب في السَّعي، وقد تقدَّمك عضوٌ من أعضائك، وابنٌ من أبنائك إلى الجنَّة، والكلُّ تبعٌ للبعض ـ إن شاء الله تعالى ـ وقد أبقى الله لنا منك ما كنَّا إليه فقراء، وعنه غير أغنياء، من عِلمِك ورأيك، نفعك الله وإيَّانا به، والله وليُّ ثوابك والضمين بحسابك[2].

---

(١) نَدَّ البعير: نفر وذهب على وجهه شاردًا. القاموس المحيط: ٣٢٢/١، ومختار الصحاح: ٣٠٧/١.

(٢) وفيات الأعيان: ٣/ ٢٥٦.

سابعًا: صُحبة المتفائلين من أهل السنَّة والجماعة[1]:

وللصُّحبة تأثير كبير على سلوك الإنسان، لذلك قال النَّبيُّ ﷺ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلِ»[2].

فجالِسْ أهل التَّفاؤل، وأهل الأمل والسُّرور والطُّموح، ولا تجالس الكُسالى المحْبَطين المتشائمين، فإنَّهم ينقلون العدوى لجليسهم، ولن تحصل منهم بطائل، فليس عندهم إنجاز يمكن أن يَمْسح هذه الآلام، ويُزيل هذه المتاعب، وليس عندهم أملٌ وتفاؤل يجدِّد نشاطنا لاستئناف حياتنا من جديد.

---

(١) وإنما قيَّدناها أن يكون الصاحب من أهل السنَّة والجماعة، لأنَّ الصاحب ساحب، وقد نصَّ على هذا القيد العلامة ابن جزيء المالكي في كتابه: القوانين الفقهية، ص٢٩١.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب: مَن يُؤمر أن يجالس، برقم: /٤٨٣٣/، والترمذي في سننه، أبواب الزهد، برقم: /٢٣٧٨/ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ثامنًا: الثِّقة بالنَّفس: فالله تعالى منح الإنسان عقلًا وأعطاه قدرة هائلة: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠] وقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

فإذا استخدم الإنسان عقله، وآمن بمواهبه الممنوحة له من قِبل الوهَّاب ﷻ، وصبر وصابر، فُتحت له أبواب من الخيرات، يقول الشاعر المفكِّر **محمد إقبال** ﷺ على لسان نسمة من نسائم الفجر: إنَّ الذي عرف نفسه وعرف قيمته ومركزه، لا يليق به إلا عروش الملوك وأسرَّة السَّلاطين[1].

قال الشاعر:

وتحْسَبُ أنَّك جِرمٌ صغيرٌ وفيكَ انْطوى العالَمُ الأكْبرُ[2]

---

(١) روائع إقبال لأبي الحسن الندوي: ٩٢.

(٢) لا يعرف قائل البيت على التحقيق، فمنهم مَن نسبه لعليٍّ ﷺ، ومنهم مَن نسبه لمسكين الدَّارمي، ومنهم مَن نسبه لأبي العَتاهية.

تاسعًا: الابتسامة الجميلة: فالابتسامة تجلب السَّعادة والسُّرور، لذلك كان ﷺ بسَّامًا كما وصفه الصَّحابة الكرام ﷺ، يقول الصَّحابيُّ الجليل **جَرِيرُ بنُ عبد الله** ﷺ: «مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي»(١).

وقال البوصيري عنه ﷺ:

سيِّد ضحكُه التبسُّم والمشـ ـي الهوينى ونومه الإغفاءُ(٢)

ونصح سفيان بن عُيينة ﷺ بالتأسي برسول الله ﷺ في ذلك فقال:

بُـنَيَّ إنَّ الـبرَّ شيءٌ هـيِّنٌ وجـهٌ طـلـيـقٌ وكلام لـيِّن

ولذلك قالوا: بالابتسام تُذلَّل الصِّعاب، وقال الزمخشري: ابتسامك لقبيحٍ أدلّ على مروءتك من إعجابك بجميل.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب مَن لا يثبت على الخيل، برقم: /٣٠٣٥/، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ﷺ باب من فضائل جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم /٢٤٧٥/.

(٢) ينظر مجموع من مهمات المتون: ص٣٨.

فالابتسامة واجب اجتماعي وديني، وجميل أن تبدأ الصداقة بابتسامة، وأجمل منها أن تنتهي بابتسامة[1].

وقال إيليا أبو ماضي:

قــالَ: السَّمــاءُ كئيبةٌ، وتَجَهَّمَا

قلتُ: ابْتَسمْ يكْفي التَّجهُّمُ في السَّما

قــالَ: الصِّبا ولَّى، فقلتُ له: ابتسمْ

لنْ يُرْجِعَ الأسفُ الصِّبا المتَصَـرِّما

قــالَ: العِدَى حولي علَتْ صيْحاتُهُم

أَأُسَـرُّ والأعداءُ حولي في الحِمى؟

قلتُ: ابتسمْ، لم يطْلبوكَ بذمَّةٍ

لو لمْ تكنْ مِنهمْ أجَلُّ وأعْظما

---

(١) ينظر الهمزية الكبرى في مدح رسول الله ﷺ، وكتاب موسوعة روائع الحكمة د. روحي البعلبكي: ص١٧ ـ ٢٠، ومجموع من مهمات المتون: ص٣٨.

قال: الليالي جرَّعتْني عَلْقَمًا

قلتُ: ابتسمْ ولئنْ جَرَعْتَ العَلْقَمَا

فلعلَّ غيرَكَ إنْ رآكَ مُرَنِّمًا

طَرحَ الكَآبَةَ جَانبًا وتَرَنَّمَا

أتُراكَ تغْنمُ بالتَّبرُّمِ دِرْهمًا

أمْ أنتَ تخْسَـرُ بالبشاشَة مَغْنَمَا

فاضْحكْ فإنَّ الشُّهْبَ تضْحكُ والدُّجى

مُتلاطِمٌ ولا نُحِبُّ الأَنْجُمَا[1]

ومما أنشدتُ:

تبَسَّمْ كلَّما دَهَتِ الدَّواهي وكُنْ متفائِلًا طَلْقَ المُحيَّا

وأشْرِقْ للحياةِ بلا حدودٍ ولا تكُ مثلَ مَن عاشوا بُكيّا

فمِن جُنحِ الظَّلام يُطلُّ فجرٌ بصُبْحٍ مشـرقٍ يَصْحو نَديّا

(١) إيليا أبو ماضي: ص٥٢٩، والخطة البراقة: ص١٩٩.

ولِـما أنَّ الابتسامة تبعث الأمل لدى المبتسِم والمبتسَم له فقد عدَّها ﷺ صدقة، فقال: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»[1].

وقال حاتم الطائي:

أضَاحِكُ ضَيفي قَبلَ إنْزالِ رحْلهِ

ويُخْصِبُ عندي والمحلُّ جَديبُ

وما الخَصْبُ للأضْيافِ أن يَكْثُرَ القِرى

ولكنّما وجهُ الكريمِ خَصيبُ[2]

عاشرًا: استحضار وعْد الله تعالى: ألمْ يقلْ ربُّنا الكريم: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في صنائع المعروف، برقم: /١٩٥٦/ عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

(٢) العقد الفريد، لابن عبد ربه: ١٩٧/١.

ألمْ يُخبرنا رسولنا ﷺ أنَّ **النَّصْر مع الصَّبْر وأنَّ الفَرَج مع الكَرْب وأنَّ مع العُسْر يُسْرًا**[1].

ألم يقل لنا: «مَنْ **لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ**، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»[2].

فإذا استحْضر المؤمن هذا الوعدَ تفاءل خيرًا، ورأى نصْر الله وتأْييده وفَرَجه نُصْبَ عينيه.

الحادي عشر: الدُّعاء: فالدُّعاء يُشعِر الإنسان المسلم بالتَّفاؤل، لأنَّه يعرف أنَّه يسأل الله العليَّ القدير الذي لا يُعجِزه شيء، ويعرف أنَّ الله ﷻ يستجيب دعاءه، وهو بهذا الدُّعاء يترجم إيمانه.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن العباس، برقم: /٢٨٠٣/ عن ابن عباس ﷺ.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، برقم: /١٥١٨/، وابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب الاستغفار، برقم: /٣٨١٩/ عن ابن عباس ﷺ.

ولعلَّ هذا اليقين المغروس في قلب المسلم، هو الذي يجعله دائمًا يشعر بالتَّفاؤل بغَدٍ أفضل، فيتأمَّل خيرًا.

أخيرًا: استذْكار حياة النَّاجحين: فمَن قرأ سيرة الأبطال الناجحين علَتْ عنده الهمَّة، وإذا نظرنا في سيرة العُظماء النَّاجحين ممَّن دخلوا التاريخ من أوسع أبوابه وخلَّدوا أسماءهم في سجلَّاته، نجد من خلال سِيَرهم أنهم يتميَّزون عن غيرهم ـ في الغالب ـ بالتَّفاؤل في المحن والشَّدائد والأزَمات، ولعلَّ هذا سرٌّ من أسرار نجاحهم وتميُّزهم عن غيرهم[1].

ومَن يطالع صفحات التَّاريخ يجد كثيرًا من الأمثلة التي تركتْ بصمتها في حياة المجتمعات وسِجلّ الإنسانيَّة عمومًا بل لقد كان من هؤلاء المتميِّزين النَّاجحين **أيتام فقدوا آباءهم**؛ لكنَّهم نالوا قصَبَ السَّبْق في جُلِّ الميادين بمختلف اتجاهاتها الشَّرعية والأدبيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة... فبرعوا بما لم يبرعْ به سواهم، وقدّموا أعظم الإسهامات مقيمين

(١) تفاؤله ﷺ في الأزمات: ص٥.

الحُجَّة على مَن عاش في ظلِّ أبويه ولم يذُقْ مرارة اليُتْم والحِرمان، حيث لم يتمكَّن اليأس والإحباط من قلوبهم، ولا عرف التَّشاؤم إليهم طريقًا، **ومنهم**[1]:

القائد عبد الرحمن الدَّاخِل، والإمام أبو حنيفة، والإمام مالك، والإمام الشافعيُّ، والإمام أحمد بن حنْبل، والإمام البخاريُّ، والإمام أبو حامد الغزاليُّ، والإمام ابن تيمية، والإمام ابن الجوزيِّ رحمهم الله، **وفي العصر الحديث**: العلامة المجاهد محمد الحامد، والإمام أبو الحسن الندويُّ، والإمام أبي الأعلى المودودي، والإمام محمد أبو زُهرة، والعلامة مصطفى السباعي، والشيخ المجاهد أحمد ياسين، وغيرهم كثير، رحمهم الله جميعًا، وأمدَّ في عُمُر العلماء والمصلحين الربَّانيين الجُدد؛ للنهوض بالأمة على جادَّة الأمل والتفاؤل بالبذل والعمل.

** ** **

(١) للتوسع ينظر كتاب: (أيتام غيّروا مجرى التاريخ) لعبد الله صالح الجمعة.

حكم التَّفاؤل

مما سبق يتبيَّن أنَّ التَّفاؤل مطلوب شرعًا، وأقلُّ ما يُمكن أن يُقال فيه: إنَّه مستحبٌّ، اتِّباعًا لمنهجه ﷺ ولأنَّ فيه حُسْن ظنٍّ بالله ﷻ[1].

وقد جاء في الموسوعة الفقهيَّة الكويتيَّة: التَّفاؤل مُبَاحٌ بَل **حَسَنٌ** إِذَا كَانَ مُتَعَيِّنًا لِلْخَيْرِ، كَأَنْ يَسْمَعَ الْمَرِيضُ: يَا سَالِمُ، فَيَنْشَرِحُ لِذَلِكَ صَدْرُهُ.

وَلا خِلافَ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ فِي جَوَازِ التَّفاؤل بِالْكَلِمَةِ الْحَسَنَةِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ[2]، كَأَنْ يَسْمَعَ طَالِبُ الضَّالَّةِ: يَا وَاجِدُ، فَتَسْتَرِيحَ نَفْسُهُ لِذَلِكَ[3].

وقال ابن القيم: إنَّ الفأل إبانة عن مقتضى الطبيعة،

---

(١) انظر فتح الباري: ٢١٥/١٠.

(٢) وإنما قيَّدناها بغير قصد لأن القصد إلى الفأل فيه تطيُّر، كمَن يفتح المصحف، فإن ظهرت آيات تدل على الخير مضى وإلا انصرف، فهذا نوع من أنواع الجاهلية، وقد علَّمنا النبي ﷺ الاستخارة بدلًا من التطيُّر والاستقسام بالأزلام. انظر تفاؤله ﷺ في الأزمات: ص١٦.

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية: ٧٦/١٣.

وموجب الفطرة الإنسانية التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها، كإخباره ﷺ أنه كان يحبُّ النساء والطيب والحلواء والعسل، ويحب حُسن الصوت بالقرآن والأذان، ويحبُّ معالي الأخلاق ومكارم الشِّيَم، وبالجملة: يحبُّ كلَّ كمال وخير، والله قد جعل في ذلك الارتياح والاستبشار باسم الفلاح والنجاة والتهنئة والبشرى والفوز[1].

هذا وللتَّفاؤل تأثير إيجابيٌّ كبير على سلوك الإنسان وتصرُّفاته وتفكيره، لذا لا غنى عنه لكلِّ فرد من أفراد الأمَّة وفي كلِّ الظروف.

** ** **

(١) مفتاح دار السعادة: ٢/٢٤٤.

التَّشاؤم

الشُّؤْم: خلاف اليُمْن، وهو الشَّرُّ[1].

ومنه **الطِّيَرة،** وهو ما يُتَشاءَمُ به من الفأْلِ الرَّدِيءِ والطِّيرة لفظ مشتقٌّ من الطَّيْر، وَكانَت العَرَبُ إذا أرادَتِ المُضِيَّ لأمر مُهِمٍّ مَرَّتْ بِمَجَاثِمِ الطَّيْرِ ـ أماكن وقوف الطَّيْر ـ وَأَثَارَتْهَا لِتطير، فإنْ ذهب الطَّير نحو الشِّمال تشاءموا[2].

قال محمد أشرف بن العظيم آبادي: وَقَدْ كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَتَطَيَّرُونَ بِالصَّيْدِ كَالطَّيْرِ وَالظَّبْيِ، فَيَتَيَمَّنُونَ بِالسَّوَانِحِ، وَيَتَشَاءَمُونَ بِالْبَوَارِحِ، وَالْبَوَارِحُ عَلَى مَا فِي الْقَامُوسِ مِنَ الصَّيْدِ مَا مَرَّ مِنْ مَيَامِنِكَ إِلَى مَيَاسِرِكَ، وَالسَّوَانِحُ ضِدُّهَا، وَكَانَ ذَلِكَ يَصُدُّهُمْ عَنْ مَقَاصِدِهِمْ، وَيَمْنَعُ عَنِ السَّيْرِ إِلَى مَطَالِبِهِمْ، فَنَفَاهُ الشَّرْعُ وَأَبْطَلَهُ وَنَهَاهُمْ عَنْهُ[3].

---

(١) لسان العرب: ٣١٤/١٢، ومختار الصحاح: ١٦٠/١، والمعجم الوسيط: ٤٦٩/١.

(٢) ينظر: المصباح المنير: ٩١/١، والمعجم الوسيط ص١٠٧.

(٣) ينظر: عون المعبود: ١٤١/٣، والفائق للزمخشري: ٣٧١/٢.

وقال ابن حَجَر ﷺ: وَالطِّيَرَةُ وَالشُّؤْمُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ[1].

ـ كلماتٌ ذات صِلة:

ـ **القنوط:** هو اليأس، أو هو الإياس من الخير، أو هو شدَّة اليأس[2].

ـ **اليأس**: هو القنوط، وقطع الأمل، وقطع الرجاء[3].

ـ **الخيبة:** هي الخسران، والحرمان، وعدم نيل المطلوب[4].

ـ **قال أبو هلال العسكري** ﷺ: الفرق بَين اليَأْس والقنوط والخيبة: أَن الْقنُوط **أَشد مُبَالغَة** من اليَأْس، وَأما الخيبة فَلَا تكون إِلَّا **بعد الأمل**، لأنها امْتنَاع نيل مَا أمِلَ،

---

(١) فتح الباري: ٦١/٦، والنهاية في غريب الحديث: ١٥٢/٣.

(٢) مجمل اللغة لابن فارس: ٧٣٥/١، والصحاح: ١١٥٥/٣، والمعجم الوسيط: ٧٦٢/٢.

(٣) القاموس المحيط: ٥٨٢/١، ومقاييس اللغة لابن فارس: ٣٠٠/١ والصحاح: ٩٩٢/٣.

(٤) مجمل اللغة لابن فارس: ٣٠٨/١، وتاج العروس: ٣٨٨/٢.

فَأَمَّا الْيَأْس فقد يكون قبل الأمل، وَقد يكون بعده، والرَّجاء واليأس نقيضان يتعاقبان، كتعاقب الخَيْبة وَالظَّفَر، والخائب: المنقطِّع عَمَّا أمَّل[1].

ـ **الوَهْن:** هو الضَّعْف[2].

قال العسْكري: الفرق بَين الوهْن والضَّعْف: أَن الضَّعْف ضد الْقُوَّة، وَهُوَ من فعل الله تَعَالى، كَمَا أَن الْقُوَّة من فعله تَقول: خلقه الله ضعيفًا، أَو: خلقه قويًّا، وَفِي القُرْآن: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

والوهْن: هُوَ أَن يفعل الْإِنْسَان فعْلَ الضَّعِيف، تَقول: وَهِن في الأَمر وَهْنًا، إِذا أَخذ فِيهِ أَخْذ الضَّعِيف، ومنه قَوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] أَي: لَا تَفعلُوا أَفعَال الضُّعَفَاء وأنتم أقوياء على مَا تطلبونه بتذليل الله إِيَّاه لكم، وَيدل على صِحَة مَا قُلْنَا أَنَّه لَا

---

(١) الفروق اللغوية: ٢٤٥/١.

(٢) الصحاح: ٢٢١٥/٦، وتاج العروس: ٢٦٧/٣٦.

يُقَال: خلَقَه اللهُ واهنًا، كَمَا يُقَال: خلَقَه اللهُ ضَعِيفًا[1].

الإحْباط: معناه في اللغة: إبطال العمل، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

ومعناه في الاصطلاح: شعورٌ بالحُزْن واليأْس والعَجْز نتيجةً للفشل في تحقيق هدفٍ كان يُرجى تحقيقه[2].

** ** **

(١) الفروق اللغوية: ١١٦/١.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة: ٤٣٧/١.

من أسباب اليأس

أولًا: ضَعْف الإيمان بالله تعالى، والغفلة عن الحقيقة المطلقة: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] أمَّا إذا قوِي إيمان الإنسان، فلن يتسرَّب إلى قلبه يأس ولا قنوط، فيحتاج اليائسُ جرعة إيمانية؛ ليستعيد حيويَّته ونشاطه وأمَلَه.

ثانيًا: عدم الرِّضا بالأقْدار الإلهيَّة، فالرِّضا يُورث السَّعادة والأمل، فمَن علِمَ أنَّ ما أصابه لم يكن ليُخطئه، وأنَّ ما أخْطأه لم يكنْ ليصيبه، سلَّمَ أموره للخالق ﷻ[1]: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣].

ثالثًا: البُعْد أو الغفْلة عن السُّنن الإلهيَّة، فالله جلَّ ذكرُه جعل سننًا في هذا الكون، إذا لم يَسِر الإنسان عليها تسرَّب اليأس إلى قلبه، فالإنسان الذي يحلم أن يَنْعم بالحريَّة والأمان، ونسي أنَّ طريق الحريَّة يحتاج للتَّضحية والصَّبر،

---

(١) استشراف المستقبل: ص٤٠ ـ ٤١.

سرعان ما يَدخل في اليأس من أول الطَّريق، ومَن أراد أن يُصبح من كبار العُبَّاد فيصوم النَّهار ويقوم اللَّيل ولم يعطِ جسدَه حقَّه، وقع في اليأس من أول المشوار، ومَن لم يَسِر على قاعدة التدرُّج في الرياضة شقي وتعب ويئس.

قال د. فهمي إسلام: فإن هذا الكون محكوم بنظام يحدد حركات الأشياء، ويضبط تغيُّرات الأمور، وفق قانون عام من رب الكون، بكل دقَّة في الحياة حسب مراد الله تعالى[1].

رابعًا: ضَعْف الثِّقة بالنَّفس: فالله جلَّ في علاه وهَب الإنسان طاقاتٍ هائلةً، يستطيع بها أن يتغلَّب على كثير من المصاعب، ويستطيع أن يتجاوز العقبات، كُلُّ ذلك مصحوبًا بالاستعانة بالله ﷻ، يقول ﷺ: «وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ»[2].

خامسًا: التَّشاؤم، وهو ناتج عن الوساوس الشيطانيَّة

---

(١) استشراف المستقبل: ص١٤٢، والسنن الإلهية لعبد الكريم زيدان: ص٧.

(٢) خرَّجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العَجَز، برقم: /٢٦٦٤/ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يقول ﷺ: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، ثَلَاثًا، وَمَا مِنَّا إِلَّا[1] وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»[2].

فالتَّشاؤم قد يقع في قلب الإنسان المسلم كما أشار الحديث، ولكن المسلم يُذهبه بالتوكُّل على الله تعالى.

ـ وأمَّا الحديث الذي ورد في إثبات الشؤم، وهو قوله ﷺ: «الشُّؤْمُ فِي المَرْأَةِ، وَالدَّارِ، وَالفَرَسِ»[3]، فقد جاءت رواية ثانية تفسِّر هذه الرواية وهي أنَّ الصحابة الكرام رضي الله عنهم ذكروا الشؤم

---

(١) وقد حذف المستثنى بعد (إلا) اختصارًا. ينظر: الفائق للزمخشري: ٣٧١/٢، والنهاية في غريب الحديث: ١٥٢/٣.

(٢) خرَّجه أبو داود في سننه، كتاب الطب، باب في الطيرة، برقم: /٣٩١٠/، وابن ماجه في سننه، كتاب الطب، باب مَن كان يُعجبه الفأل ويكره الطيَرة، برقم: /٣٥٣٨/، كلاهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) خرَّجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب ما يُتَّقى من شؤم المرأة، برقم: /٥٠٩٣/، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب الطِّيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، برقم: /٢٢٢٥/ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

عند رسول الله ﷺ فقال: «إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ فَفِي الدَّارِ وَالمَرْأَةِ وَالفَرَسِ»[1].

فالحديث الثاني يوضِّح معنى الحديث الأول، فليس فيه إثبات للشُّؤم، إنما نفي له، فهو غير موجود، ولو كان موجودًا لوُجِد في هذه الأشياء الثلاثة.

وقد رُوِيَ عَن **عَائِشَةَ** رضي الله عنها إنْكَارُهَا لذلكَ، وإخْبَارُها أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ إنَّما قال ذلك إخْبَارًا منه عن أَهْلِ الجاهليَّةِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَهُ، غَيْرَ أَنَّهَا ذَكَرَتْهُ عَنْهُ عليه الصلاة والسلام بِالطِّيَرَةِ لا بالشُّؤْمِ، وَالمَعنى فيهما واحدٌ, وإذا كانَ ذلك كذلكَ، كانَ ما رُوِيَ عنها مِمَّا حَفِظَتْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ إضافَتِهِ ذلك الكلامَ إلى أهلِ الجاهلِيَّةِ أولى مِمَّا رُوِيَ عن غيرِها فيه عنه ﷺ؛ لِحِفْظِهَا عَنْهُ في ذلكَ مَا قَصُرَ غَيْرُهَا عَنْ حِفْظِهِ عَنْهُ فيهِ، فكانتْ بذلكَ

---

(١) خرَّجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب ما يُتَّقى من شؤم المرأة، برقم: /٥٠٩٤/، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب الطِّيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، برقم: /٢٢٢٥/ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

أَولى من غَيْرِهَا، لَا سِيَّمَا وَقَد رُوِيَ عن رسولِ اللهِ ﷺ فِي نَفْيِ الطِّيَرَةِ وَالشُّؤْمِ[1].

سادسًا: الطُّموح الزَّائد المشُوب بالحسد: وذلك بالتَّطلُّع إلى ما عند الآخرين، فينظر إلى مَن هو أغنى منه وإلى مَن هو أعلى منه جاهًا ومنزلة، ويريد أن يجمع كلَّ الخيرات لنفسه، ويرى نفسه دائمًا أنَّه دون الآخرين، علمًا أنّه من المستحْسن أنْ يَطْمح الإنسان، لكنْ طموحًا متوازنًا مع العمل، مقرونًا بالرِّضا بالأقْدار الإلهيَّة، من غير حسد، يقول ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ»[2].

سابعًا: الجهل: وهو سبب الشقاء والتَّعب، فالعلم نور لصاحبه، يفتح له أبوابًا من الخيرات، والجهل ظلام يُغلِق الأبواب المفتوحة.

---

(١) شرح مشكل الآثار للطحاوي: ٢/٢٥١، وكتاب معنى حديث الشؤم في ثلاثة لمحمد العلي ص ٢٥.

(٢) خرَّجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، برقم: /٢٩٦٣/ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ولنتأمَّل ماذا فعل الجهل بهذا الرَّجل الذي أسرف على نفسه، ويئس من المغفرة، يقول ﷺ: «كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ، قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا، فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ، فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ فَغَفَرَ لَهُ»[1].

ثامنًا: التفكير السَّلْبي: فأكثر اليائسين هم أولئك الذين يتذكَّرون المصائب والمآسي التي مرَّت بهم، ويفكِّرون في أخطائهم وإحباطاتهم، وإذا تكلَّموا لا يتكلَّمون إلا بالشَّكْوى والضَّجَر والتأفُّف واليأس، وإذا تحدَّثوا عن النَّاس تكلَّموا بمرارة وأسى، وأخبروا عن جحودهم وإيذائهم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، برقم: /٣٤٨١/ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وحِقْدهم، مع أنَّ النَّبيَّ ﷺ يقول: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ»[1].

وعلى الإنسان أن يعوِّد نفسه على التفكير الإيجابي، كي يتخلَّص من القلق والتَّوتر والانفعال[2].

** ** **

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن قول هلك الناس، برقم: /٢٦٢٣/ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الخطة البراقة: ص١٩٦.

من أضرار اليأس

١ـ **الأمراض النَّفْسيَّة:** فاليأس يُوقِع صاحبه في الاضطرابات النَّفسيَّة والتَّوتُّر والقلق، كما أنَّه يُصاب بتشويش الفكر وقلَّة النَّوم والإرهاق المستمر، وربما فكَّر اليائس بالانتحار، بل فعل بعضهم ذلك.

٢ـ **الأمراض الجسديَّة:** فالقلق والتَّوتُّر اللذان ينتُجان عن اليأس يسبِّبان كثيرًا من الأمراض، يقول «**جون جوزيف**»: إنَّ قرْحة المعِدَة لا تأتي ممَّا تأكله، ولكنَّها تأتي ممَّا يأكلك من القلق والهموم وتوتُّر العواطف والخوف[١].

وقال صفيُّ الدِّين الحلي:

كنْ عن هُمُومكَ مُعْرضَا ... وكِلِ الأمورَ إلى القَضا
وانْعمْ بطُولِ سَلامةٍ ... تُسليك عمَّا قدْ مَضى
فلربما اتَّسع المضيقُ ... وربما ضاقَ الفضا
ولَرُبَّ أمْرٍ مُسْخطٍ ... لك في عواقبهِ رضى
اللهُ يفْعلُ ما يشا ... ءُ فلا تكنْ متعرِّضا[٢]

---

(١) متعة الحديث: ٨٣/١.

(٢) الكشكول: ٢٠٨/١.

٣ـ ترك العمل: وقديمًا قالوا: **لولا الأمل لبطل العمل،** فالعامل يعمل وكلُّه أمَل أن يتقاضى أجرَه فلو دخل اليأس إلى قلبه، وشعر أنَّه لن يُمْنَح الأُجْرة، لَترك العمل، والطَّالب يدرس، وهو يرى أنَّ النَّجاح حليفه، ولو أنَّ اليأس تسرَّب إلى قلبه من النجاح، لترك الدِّراسة بالكلِّيَّة، وهكذا العاصي، عندما يُفتح له باب الرجاء بالتَّوبة، فإنَّه يتوب ويعمل صالحًا، وأمَّا إن أُغْلق بابُ الأمل، فإنَّه يُصبح أكثر إجرامًا.

٤ـ البُعد عن الله تعالى: فاليأس يُدخِل صاحبه في سجن الأوهام والظُّنون، حتى تسيطر عليه وينسى الخالق الرَّزَّاق الجبَّار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لذا قال ربُّنا: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

** ** **

كيف أهزم اليأس؟

أولًا: الصَّبر: وهذا هو خلق الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وطريق الدعوة شاقٌّ وطويل، فلا بدَّ فيه من الصَّبر، قال جلَّ ذكرُه: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

ولذلك أوصى لقمانُ الحكيمُ عليه السلام ولدَه فقال ـ كما أخبر مولانا ـ : ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وقد أخبرنا سيدنا يوسف عليه السلام عن سرِّ تجاوزه المحَن التي مرَّ بها، فقال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: الصَّبر وحده هو الذي يُشِعُّ للمسلم النورَ العاصمَ من التخبُّط، والهدايةَ الواقيةَ من

القنوط، وهو فضيلة يحتاج إليها المسلم في دينه ودنياه، ولا بدَّ أن يبـني عليها أعماله وآماله[1].

وقد جعل الله الصَّبر أحد أهمِّ أسباب النَّصر، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٥ ـ ٦٦] وقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦ ـ ١٤٨].

---

(١) خلق المسلم: ص ١٣٠.

ثانيًا: الثِّقة بالله والالتجاء إليه والصدق معه: فإذا عرف المؤمن ذلك جعل الله ملجأه يصمد إليه، فإنه وحده النافع والضار، والباسط والقابض، والمعطي والمانع، قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١]، فإنَّ الصدق مجلبة العون ومفتاح كل خير، كما أنه يُطلب مع الثقة بالله والالتجاء إليه الصبرُ على مطلوبه، وقد روى الإمام أحمد عنه ﷺ: «وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ على مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»(١).

ثالثًا: كثرة التَّضرُّع والالتجاء إلى الله تعالى: فالدُّعاء يفتح الأبواب المغلقة بإذن الله، وقد جاء في الحديث: «لَا يَرُدُّ القَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن العباس، برقم: /٢٨٠٣/. وينظر استشراف المستقبل: ص٣٨٤.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاءُ، برقم: /٢١٣٩/، وابن ماجه في سننه، في المقدمة، باب في القدر برقم: /٩٠/ عن سلمان رضي الله عنه.

وفي الدُّعاء مناجاة لله تعالى، يشكو فيه الإنسان همَّه لله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦].

** ** **

حكم اليأس

اتَّفق العلماء على **حُرمة اليأس** من رحمة الله، وذكر الإمام القُرطبيُّ في تفسيره أنَّه من الكبائر، مستدلًّا بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧][1].

وقال **البَغَويُّ**: القنوط من رحمة الله كبيرة، كالأمن من مكْره[2].

بينما نصَّ العلَّامة **سنان الدين الأماسيّ** الحنفيّ رحمه الله على كفْر اليائس من رحمة الله، موجِّهًا رأي الحنفيَّة أنَّ هذا صريح[3].

ـ أمَّا حكْم التَّشاؤم والتطيُّر:

فنقول: أمَّا ما يقع في الصَّدر من الانقباض أو الانبساط،

---

(١) تفسير القرطبي: ٢٥٢/٩.

(٢) تفسير البغوي: ٦١/٣.

(٣) تبيين المحارم في القرآن الكريم، تحقيق الدكتور خالد هنداوي (مخطوط)، ص ٤٧.

فهو أمر غير مكتسَب فلا حساب عليه، ولكن على المسلم أن لا يعمل على مقتضى التَّشاؤم، فلا يحلُّ له أن يمتنع من القيام بمصلحة لما حصل في نفسه من التَّشاؤم[1].

قال الإمام النووي رحمه الله: وَقَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ فِي النَّهْيِ عَنِ التَّطَيُّرِ، وهِيَ مَحْمُولَةٌ عَلَى الْعَمَلِ بِهَا لَا عَلَى مَا يُوجَدُ فِي النَّفْسِ مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ عَلَى مُقْتَضَاهُ عِنْدَهُمْ[2].

أمَّا العمل بالطِّيَرة فحرام قطعًا، لقوله ﷺ: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ»[3].

وَإِنَّمَا جُعِلَ ذلك شِرْكًا؛ لِاعْتِقَادِهِمُ أَنَّ ذلك يَجْلِبُ نَفعًا أو يَدْفَعُ ضُرًّا، فكأنَّهُم أشرَكُوهُ مع الله تعالى[4].

وذهب بعضُ الحنابلةِ إلى كراهة التَّشَاؤُمِ والطِّيَرَةِ، دُونَ الْفَأْل.

---

(١) فتح المنعم بشرح صحيح مسلم: ١٤٤/٣.

(٢) شرح النووي على مسلم: ٢٣/٥، وشرح أبي داود للعيني: ١٨٣/٤.

(٣) سبق تخريجه ص ١٣٤.

(٤) فتح الباري: ٢١٣/١٠.

واستدلُّوا على ذلك بحديثِ بُرَيْدَةَ ﷺ: «كَانَ رَسُول اللَّهِ ﷺ لا يَتَطَيَّرُ مِنْ شَيْءٍ، وَلَكِنْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَرْضًا، سَأَل عَنِ اسْمِهَا، فَإِنْ كَانَ حَسَنًا رُئِيَ الْبِشْرُ فِي وَجْهِهِ، وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ رَجُلًا سَأَل عَنِ اسْمِهِ، فَإِنْ كَانَ حَسَنَ الاِسْمِ رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ»[1].

** ** **

(١) ينظر الموسوعة الفقهية الكويتية: ٣٢٨/٢٥، واستشراف المستقبل: ص٣٥٠، والحديث أخرجه أحمد في مسنده، مسند الأنصار، حديث بريدة الأسلمي ﷺ، برقم: /٢٢٩٤٦/.

الخاتمة

أبشروا ولا تيأسوا

ـ مرّت الأمة الإسلامية بظروف أشد مما تعانيه اليوم من ضعف وتفرُّق، لكنَّ الأمة الإسلاميَّة ما ضعفت وانهزمت في ناحية إلا قويت وانتصرت في ناحية أخرى، ولا غربت شمس الإسلام في بقاع إلا وأشرقت في بقاع أخرى، وشواهد التاريخ دلائل ناطقات.

ـ إذ لما ضعفت الدولة العباسيَّة ظهرت السلاجقة المنقذون من الدولة الفاطمية، ولما ضعف الإسلام في مصر والمغرب ظهر صلاح الدين الأيوبي في مصر والشام.

ـ وحكم الإسلام بلاد الهند نحوًا من ثمانية قرون من عهد محمود الغزنوي إلى السلطان بهادرشا الثاني، إلى أن احتلَّ الإنكليز البلاد.

ـ ولما استعصت القسطنطينية على الأمويين استسلمت للقائد السلطان محمد الفاتح العثماني.

وكم مرَّت بـأمَّتنـا خطوب وزادتهـا ثبـاتًـا واحتـدامًـا

ـ ومَن يصدِّق أن ينهب القرامطة الحجر الأسود من الكعبة، ويبقى لديهم /٢٢/ سنة، ولا يرجع إلا بدفع خمسين ألف دينار ذهبي؟

ـ وأمَّا عن الاقتصاد وغلاء المعيشة فيُحدِّث ابن كثير في البداية والنهاية (١٧٢/١٣) عن أحداث (٤٦٢ هـ) وأن الغلاء في مصر اشتدَّ حتى أكل الناس الجيَف والميتات والكلاب، وكان الكلب يباع بخمسة دنانير، وأفنيت الدواب، وكان لا يجسر أحد أن يدفن ميته نهارًا، وإنما ليلًا خفية؛ لئلا يُنبش فيُؤكل، ثم تغيَّرت الحال.

ـ اقرأوا اجتياح المغول للعالم الإسلامي ومواقف بعض الحكام تجدوها أسوأ من اليوم.

أبشروا ولا تيأسوا

ـ اقرأوا تاريخ الأندلس ففيه دروس وعِبَر.

ـ اقرؤوا الحروب الصَّليبية، ولمَن كان الظَّفَر!

ـ الخير باق في هذه الأمَّة إلى قيام الساعة.

ـ ومَن يُصدِّق أنَّ سبعين قاضيًا أفتوا بقتل الإمام أحمد ابن حنبل ﵀ عندما لم يقلْ بخَلْق القرآن، ولكنَّه ثبت، وبقي إمامًا للسنَّة!

مَن هم؟ ما أسماؤهم؟ نسيهم التاريخ، وبقي اسم الإمام أحمد ﵀ شامخًا.

فأبشروا ولا تيأسوا

ـ في نهاية الستِّينيَّات لم تعرف جامعة القاهرة إلا فتاة واحدة محجَّبة هي «**أمينة قطب**»، واليوم كيف الوضع في الجامعات المصريَّة مثلًا وفي الجامعات الأخرى، أمَّا في تركيا فدخلت الأخت مروة قاوقجي البرلمان محجَّبة فضُربت، ثمَّ انتصرتْ، وانتشر الحجاب، وحتى في أوربا ينتشر والحمد لله.

هذا والمحن أمر طبعي، والابتلاء سُنَّة كونيَّة، ليميز الله بها الخبيث من الطَّيب، ولكنَّ اليأس والخُنوع والجزَع

والاستسلام ليس من أخلاق المسلمين، ولا من منهج دعاته ومصلحيه.

أبشروا ولا تيأسوا

خيَّم الاحتلال على أغلب بلدان المسلمين، وحاول حرفَهم بكل السُّبل عن دينهم وصدَّهم عن سنَّة نبيهم ﷺ، ولكن بحمد الله فشلوا، وخَاب مسعاهم.

أبشروا ولا تيأسوا

تسلَّط الغرب الظَّالم، والشَّرْق المُلحد، والرافضة المجوس، وتواطؤوا للقضاء على المسلمين في فلسطين والشام والعراق واليمن ومصر وغيرها، وهذا ليس نهاية المطاف وموت الأمَّة، كلا، بل هو جزء من الصِّراع والسُّنن الرَّبَّانيَّة باتجاه الفرَج التَّام، والنَّصر الكبير على الظُّلم والظلَّام في كل مكان بإذن الله تعالى.

أبشروا ولا تيأسوا

مررنا بزمان لا يَغْشى المساجدَ إلا كبارُ السِّن، أمَّا

الشباب فلهم ميادين أخرى، وأمَّا اليوم ففي كلِّ بلدان المسلمين نرى الشباب وقد حافظ أغلبهم على الصَّلوات ويملؤون المساجد في حلقات القرآن الكريم وفي المحاضرات وفي رمضان وفي الأنشطة المتنوِّعة، رغم التغريب والعلْمنة والتضييق.

أبشروا ولا تيأسوا

مهما فعل الأعداء بنا، فلن ينالوا من ديننا ولا من إيماننا، نعم نعاني ضعْفًا وتفرُّقًا كما مرَّ بأمَّتنا سابقًا، لكن لنا كرَّة قريبة، وقوَّة متَّحدة بإذن الله.

أبشروا ولا تيأسوا

مَن يُصدِّق أنَّ المَغُول الذين كانوا مجرمين مُفسدين في الأرض ومنتصرين على المسلمين، يدخلون الإسلام ويصيرون جزءًا من الأمة المُسْلمة؟

أبشروا ولا تيأسوا

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ

نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

فهنيئا لمَن رزقه الله سبحانه الشهادة مقتولًا أو مظلومًا أو مجاهدًا أو مهاجرًا في سبيل الله تعالى ونشرِ دعوة الإسلام والخير بين النَّاس.

ـ **وأخيرًا** وكما قيل:

ـ انتهت قصة النّمرود ببعوضة.

ـ وقصة فرعون بالماء.

ـ والأحزاب بالريح.

فلا تشغل بالك: كيف سيُنهي الله الباطل؟

ولكنْ أشْغل بالك: كيف تُدافع عن الحقِّ وتكون من أهله ودعاته وجنده؟

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢].

المصادر والمراجع

ـ **الأذكار، يحيى بن شرف النووي**، تحقيق محيي الدين مستو، دار ابن كثير، ط٢.

ـ **الأعلام، خير الدين الزركلي**، دار العلم للملايين ط١٥.

ـ **الإمام الشافعي فقيه السنة الأكبر، عبد الغني الدقر**، دار القلم.

ـ **أيتام غيّروا مجرى التاريخ، عبد الله صالح الجمعة**، مكتبة العبيكان.

ـ **إيليا أبو ماضي**، الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة بيروت.

ـ **البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير**، تحقيق علي شبري، دار إحياء التراث العربي، ط١.

ـ **البصائر والذخائر، أبي حيان التوحيدي** علي بن محمد تحقيق وداد القاضي، دار صادر، ط١.

ـ **بقايا شمعة، لفهد عبد الله النفيسي**، مكتبة المنار الإسلامية، ط١.

ـ **تاج العروس، محمد بن محمد الملقب بمرتضى الزبيدي،** دار الهداية.

ـ **تبيين المحارم في القرآن الكريم، سنان الدين الأماسي،** مخطوط.

ـ **التعريف بكتاب محنة الإمام أحمد بن حنبل، محمد نغش،** الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١٢.

ـ **تفاؤله ﷺ في الأزمات، إبراهيم بن عبد الله الدويش،** دار الميمان، ط١.

ـ **تهذيب التهذيب، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني** دائرة المعارف النظامية، ط١.

ـ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن المزي،** تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط١.

ـ **تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الهروي،** تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط١.

ـ **الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي، محمد ابن أحمد القرطبي**، دار الكتب المصرية، ط٢.

ـ **جواهر الأدب، أحمد بن إبراهيم الهاشمي**، مؤسسة المعارف.

ـ **حجة الله البالغة، أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي**، تحقيق السيد سابق، دار الجبل، ط١.

ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله المعروف بأبي نعيم الأصبهاني**، دار السعادة.

ـ **الحيوان، عمرو بن بحر المشهور بالجاحظ**، دار الكتب العلمية، ط٢.

ـ **الخطة البراقة لذي النفس التواقة، صلاح الخالدي**، دار القلم، ط٨.

ـ **خلق المسلم، محمد الغزالي**، دار القلم، ط٢١.

ـ **دلائل النبوة، الإمام أحمد بن الحسين البيهقي**، دار الكتب العلمية، ط١.

ـ **ديوان الإمام الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي**، مكتبة ابن سينا.

ـ **ديوان جرير، جرير بن عطية الخطفي**، دار بيروت.

ـ **رسالة المسترشدين، الحارث بن أسد المحاسبي**، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٢.

ـ **روائع من أقوال الرسول ﷺ، عبد الرحمن حبنكة**، دار القلم، ط٦.

ـ **سنن ابن ماجه، الإمام محمد بن يزيد القزويني**، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط١.

ـ **سنن أبي داود، الإمام سليمان بن الأشعث**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية.

ـ **سنن الترمذي، الإمام محمد بن عيسى الترمذي**، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢.

ـ **سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي**، تحقيق حسين سليم أسد الداراني، دار المغني، ط١.

ـ **سنن النسائي الصغرى، الإمام أحمد بن شعيب النسائي**، تحقيق عبد الفتاح أبو غدَّة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٢.

ـ **سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي**، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة، ط٣.

ـ **السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام**، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢.

ـ **شرح النووي على صحيح مسلم، يحي بن شرف النووي**، دار إحياء التراث العربي، ط٢.

ـ **شرح مشكل الآثار، أحمد بن محمد الطَّحاوي**، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١.

ـ **الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤.

ـ **صحيح البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري**، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١.

ـ **صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري** تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.

ـ **صفة الصفوة، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي** دار الحديث بالقاهرة.

ـ **صيانة صحيح مسلم، عثمان بن عبد الرحمن أبو عمرو ابن الصلاح**، تحقيق موفق عبد الله عبد القادر دار الغرب الإسلامي، ط٢.

ـ **صيد الخاطر، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي**، دار القلم، ط١.

ـ **طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي**، دار هجر، ط٢.

ـ **العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه**، دار الكتب العلمية، ط١.

ـ **عندما يشرق الصباح، الدكتور حسان شمسي باشا**، دار القلم، ط١.

ـ **عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد أشرف بن أمير الصدِّيقي العظيم آبادي**، دا الكتب العلمية ط٢.

ـ **الفائق في غريب الحديث والأثر، محمود بن عمرو الزمخشري**، دار المعرفة، ط٢.

ـ **فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني**، دار المعرفة.

ـ **فتح المنعم شرح صحيح مسلم، موسى شاهين لاشين**، دار الشروق، ط١.

ـ **الفرج بعد الشدة، المحسِّن بن علي التنوخي**، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر.

ـ **الفروق اللغوية، الحسن بن عبد الله العسكري**، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة.

ـ **في ظلال القرآن، السيد قطب**، دار الشروق.

ـ **القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي**، مؤسسة الرسالة، ط٨.

ـ **القوانين الفقهية، محمد بن أحمد ابن جزيء الكلبي**، دار ابن حزم.

ـ **القوة الهادئة، محمد بن عبد الله الفريح**، مكتبة العبيكان ط١.

ـ **الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم ابن الأثير**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١.

ـ **الكشكول، محمد بن حسين الهمذاني**، تحقيق محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، ط١.

ـ لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر ط٣.

ـ **المبشرات بانتصار الإسلام، الدكتور يوسف القرضاوي** مكتبة وهبة، ط٣.

ـ **متعة الحديث، عبد الله بن محمد الداوود**، ط٢٤.

ـ **مجلة البعث الإسلامي**، والتي تصدرها مؤسسة الصحافة والنشر في الهند.

ـ **مجمل اللغة، أحمد بن فارس**، تحقيق زهير سلطان مؤسسة الرسالة، ط٢.

ـ **مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي**، المكتبة العصرية، ط٥.

ـ **مدارج السالكين، محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية**، دار الكتاب العربي، ط٣.

ـ **مسند أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن محمد بن حنبل**، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث، ط١.

ـ **المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي**، المكتبة العلمية.

ـ **معالم التنزيل في تفسير القرآن، المعروف بتفسير البغوي، الحسين بن مسعود البغوي**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط١.

ـ **المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني**، مكتبة ابن تيمية، ط٢.

ـ **معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر**، عالم الكتب.

ـ **المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى** وآخرون من مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.

ـ **معجم علم النفس والطب النفسي، جابر عبد الحميد جابر وعلاء الدين كفافي**، دار النهضة العربية.

ـ **معنى حديث الشؤم في ثلاثة، محمد بن عبد العزيز العلي**، دار طيبة ط١.

ـ **مقاييس اللغة، أحمد بن فارس**، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر.

ـ **الموسوعة الفقهية الكويتية**، الصادرة عن وزارة الأوقاف في الكويت.

ـ **موسوعة علم النفس، مجموعة من المؤلفين**، ترجمة وتحقيق أسعد رزق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير**، المكتبة العلمية.

ـ **الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي**، تحقيق أحمد أرناؤوط، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط١.

ـ **وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي**، المكتبة العصرية.

ـ **وفيات الأعيان، أحمد بن محمد ابن خلّكان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر.

ـ **يوسف عليه السلام قدوة للمسلمين، د. علي محيي الدين القره داغي**، دار البشائر الإسلامية بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
معنى التَّفاؤل	١٦
كلمات ذات صلة بالتَّفاؤل	١٧
من ميادين التَّفاؤل	٢٠
أولًا: التَّفاؤل برحمة الله	٢٠
ثانيًا: التَّفاؤل بالمغفرة	٢١
ثالثًا: التَّفاؤل بالفرَج	٢٥
رابعًا: التَّفاؤل بتيسير الأمور	٣٦
خامسًا: التَّفاؤل بالشفاء	٣٧
سادسًا: التَّفاؤل بالنصر	٤٠
سابعًا: التَّفاؤل بالرزق	٤٧
ثامنًا: التَّفاؤل بقضاء الدَّين	٥٢
تاسعًا: التَّفاؤل باستجابة الدعاء	٥٧
عاشرًا: التَّفاؤل بنشر الدعوة	٦٤
الحادي عشر: التَّفاؤل بتحصيل العلم	٦٨

الثاني عشر: التَّفاؤل بدخول الجنة ٧٥
من أهم ضوابط التَّفاؤل ٧٨
١ـ العمل بالأسباب مع التوكل على الله ٧٨
٢ـ التَّفاؤل بالممكنات ٨٣
من أهم فوائد التَّفاؤل ٨٤
أولًا: يقوِّي العزيمة ويبعث على الجدِّ والنشاط ٨٤
ثانيًا: يُذلِّل العقبات والمصاعب ٨٥
ثالثًا: يغيِّر حال الإنسان ٩١
رابعًا: سبب لصلاح الأمة ٩٦
خامسًا: يبعث الطمأنينة في القلب ٩٧
سادسًا: التأثير الإيجابي على صحة الإنسان..... ٩٨
سابعًا: حصول البركة ١٠٠
كيف أكون متفائلًا؟ (أسباب استدعاء التَّفاؤل) ١٠٣
١ـ التعرف إلى الله والرضا بقدره والثقة به سبحانه ١٠٣
٢ـ نبذ الأوهام والخرافات.....١٠٦
٣ـ كثرة ذكر الله تعالى ١٠٧
٤ـ تلاوة القرآن الكريم ١٠٩

٥ـ الكلمة الطيبة..... ١١١
٦ـ التأمل في النعم التي أسداها المنعِم جلَّ في علاه..... ١١٢
٧ـ صحبة المتفائلين من أهل السنة والجماعة..... ١١٧
٨ـ الثقة بالنفس..... ١١٨
٩ـ الابتسامة الجميلة..... ١١٩
١٠ـ استحضار وعد الله..... ١٢٢
١١ـ الدعاء..... ١٢٣
١٢ـ استذكار حياة الناجحين..... ١٢٤
حكم التَّفاؤل..... ١٢٦
التشاؤم..... ١٢٨
كلمات ذات صلة..... ١٢٩
من أسباب اليأس..... ١٣٢
١ـ ضعف الإيمان بالله تعالى..... ١٣٢
٢ـ عدم الرضا بالأقدار الإلهية..... ١٣٢
٣ـ البعد أو الغفلة عن السنن الإلهية..... ١٣٢
٤ـ ضعف الثقة بالنفس..... ١٣٣
٥ـ التشاؤم..... ١٣٣

٦ـ الطموح الزائد المشوب بالحسد ١٣٦
٧ـ الجهل ١٣٦
٨ـ التفكير السلبي ١٣٧
من أضرار اليأس ١٣٩
١ـ الأمراض النفسية ١٣٩
٢ـ الأمراض الجسدية ١٣٩
٣ـ ترك العمل ١٤٠
٤ـ البعد عن الله تعالى ١٤٠
كيف أهزم اليأس؟ ١٤١
١ـ الصبر ١٤١
٢ـ الثقة بالله والتوكل عليه سبحانه ١٤٣
٣ـ كثرة التضرع والالتجاء إلى الله تعالى ١٤٣
حكم اليأس ١٤٥
الخاتمة ١٤٨
المراجع والمصادر ١٥٤
فهرس الموضوعات ١٦٥